قافلة الزيت

ربيع أول ١٣٨٧
يونيو - يوليو ١٩٦٧



بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

صورة الغلاف

كبريات الناقلات توءم الجزيرة الاصطناعية برأس تنورة لشحنها بالزيت الخام ومنتجاته .

تصوير : سعيد غامدي

تصميم وطباعة مطابع المطوع

Designed and printed by Al-Mutawa Press, Dammam, Saudi Arabia

القافلة تسير

عصر المختبر

زجاج قابل للالتواء وآخر يستعمل لأعمال البناء وثالث يصنع بشكل ألياف تصلح لصنع الأقمشة العازلة ويستفاد منها في بعض الصناعات .. هذا تطور كبير في صناعة الزجاج التي بدأت منذ آلاف السنين في بلاد الشرق الأوسط وبقيت على حالها تقتصر على صنع بعض الأدوات والأواني والألواح حتى جاء عصر التطور هذا الذي نعيشه اليوم ، فتضاعفت فائدة الزجاج وكثرت مهامه .

والورق عرف منذ آلاف السنين ، ولكنه بقي ، منذ أن تعلم الانسان طريقة انتاجه ، محدود الأنواع لا يصلح الا لصناعة الكتابة حتى أطل القرن العشرون فأصبح للورق فوائد كثيرة جديدة كصنع الأطباق والكؤوس والمناديل والحبال والملابس . وكذلك المعادن على اختلافها كانت تستخرج وتستعمل بطرق شبه بدائية حتى جاء عصرنا هذا فأدخل التحسينات على شتى أقسام الانتاج والتصنيع فخرجت المنتجات المختلفة ذات صفات خاصة تتمشى مع متطلبات العصر .

ويأتي الزيت الخام وغيره من المركبات الايدروكربونية في طليعة المواد الطبيعية التي واكبت هذه الحقبة المهمة من تاريخ البشرية ، فقد كان الزيت من أهم العناصر التي لحقها هذا التطور فهذبها ورفع من شأنها حتى أصبحنا اليوم نعيش في عالم لا يدور فيه عجل دون واحد أو أكثر من منتجات الزيت العديدة .

وما لبثت أنابيب الاختبار كذلك ان أنتجت من هذا الزيت مركبات جديدة لا عهد للانسان بها من قبل كالأنسجة المركبة ومساحيق التنظيف واللدائن (البلاستيك) والأسمدة والعقاقير ومبيدات الحشرات ومواد التجميل فتكونت لدينا سلسلة من الصناعات الجديدة هي الصناعات البتروكيماوية . وبقي على متتبع أخبار هذه الصناعات أن يحفظ أسماء بضعة آلاف من المنتجات التي تزداد ازديادا مطردا .. يوما بعد يوم .

وهنا تبرز أهمية المختبر في عصرنا الحاضر باعتباره يمثل البحث العلمي .. ولندرك مدى اهتمام الدول الكبرى بالبحث العلمي يكفي أن نعلم أن الولايات المتحدة الأمريكية بحكومتها وشركاتها وجامعاتها تصرف حوالي ١٧٫٦ بليون دولار سنويا على الأبحاث العلمية والتطوير الصناعي . وتدل الاحصاءات على أن الأبحاث العلمية تكلف شركات الزيت في العالم الحر خمسمائة مليون دولار سنويا . ولكن قيمة هذه الجهود الكبيرة والأموال الضخمة تتضاءل أمام أهمية التقدم الذي ينتج عنها .

فالأبحاث العلمية هي الطريق الوحيد الذي يمكن بواسطته أن نعرف كيف نكافح الأمراض ونحضر اللقاحات ونطور الصناعة والزراعة وننتج المزيد من الطعام للمناطق المحتاجة من العالم ونصنع الآلات والأجهزة الألكترونية ونسير الأقمار الاصطناعية ونستفيد من الطاقة الشمسية ونحلّي مياه البحار ونحيي الصحاري ونستغل الذرة في مجالات السلام لصالح البشرية جمعاء .. وغير هذا الكثير مما يعجزنا حصره والاحاطة بجميع نواحيه في هذا المجال .

ولا يخفى اننا وان أطلقنا على عصرنا هذا أسماء كثيرة كعصر الطاقة وعصر الذرة وعصر الفضاء لا نجانب الحقيقة اذا قلنا انه قبل كل شيء عصر الأبحاث العلمية ، بل عصر المختبر .

فؤاد الريس

قافلة الزيت

تصدر شهريا عن : شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفي الشركة - توزع مجانا

العدد الثالث

مديرها ورئيس تحريرها : سيف الدين عاشور

المحرر المساعد : فؤاد الريس

المجلد الخامس عشر

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ ، الظهران ، المملكة العربية السعودية

صفحات مشرقة من تاريخ الحضارة الاسلامية في الأندلس

بقلم الاستاذ محسن باروم

في الآونة الأخيرة كنت أقرأ كتابا ماتعا حقا ، ألفته مستشرقة ألمانية معاصرة ، اسمها « زيغريد هونكه » ويحمل عنوان (شمس العرب تسطع على الغرب) . وعنوان الكتاب كما يرى القارىء الكريم يعطي فكرة مجملة عن محتواه ومضمونه . فهو دراسة علمية رصينة فيما أسهم به العلماء العرب ومفكرو الاسلام في نهضة أوروبة في العصور الوسطى عن طريق مراكز الثقافة الاسلامية الكبرى التي انبثت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، فكانت منارات ترسل اشعاعات فكرية وهّاجة إلى ما حولها من بقاع وممالك أوروبية كانت غارقة في ظلمات الجهل والانغلاق العقلي والتزمت الديني الفظيع . وقد أدى الاحتكاك بين الغرب وما جاوره من مراكز الحضارة الاسلامية في الأندلس والمغرب وصقلية ومصر والشام الى سريان روح اليقظة الفكرية والوعي الحضاري الى نفوس الصفوة الممتازة من أبناء العرب ، فكانوا رواد النهضة الأوروبية الحديثة في مختلف مجالات العلوم والفنون والآداب .

ولست أشك في أن المستشرقة الألمانية (هونكه) قد تناولت موضوعها الدقيق باسلوب علمي فذ يمتاز بروح التجرد والنزاهة والاخلاص للحقيقة وحدها ، فكانت من جملة المستشرقين الأوروبيين القلائل الذين أنصفوا الحضارة العربية الاسلامية كل الانصاف ، وبعدوا في بحثهم عن نزعات التعصب الديني والوطني والميل العاطفي للثقافات القومية الغالبة ، فكان كتابها لذلك من أجل الكتب التي ألفها علماء الاستشراق الأوروبي المعاصر . والمتتبعون لتراث المستشرقين الأوروبيين في الأزمان الغابرة والحاضرة يعرفون حق المعرفة أن ما ألف حول موضوع تأثير الحضارة الاسلامية في أوروبة لا يكاد يعدو مقالات ورسائل قصيرة ، لا تتسم بالشمول والاستيعاب لمختلف نواحي التأثير الاسلامي في الحضارة العربية . . مثلما فعل جوستاف لوبون ، وسيديو ، وليفي بروفنسال ، وانخل بالنثيا ، وجورج يعقوب ، وفون كريمر ، وجوستاف جرونباوم ، وهاملتون جب ، وغيرهم من أعلام المستشرقين الغربيين . ولكن زيغريد هونكه ، وقد امتلأت نفسها بضروب الحب والاعزاز للحضارة الاسلامية ، أخذت على عاتقها الاضطلاع بتأليف كتاب فذ في موضوعه ، مستوعب لابعاد مادته ، رصين في أسلوبه وعرضه . فكان بذلك من أفضل ما جادت به قرائح المستشرقين الأوروبيين الذين لا ينكر فضل كثير منهم في احياء تراث العرب الفكري ، ودرس مختلف جوانب الحضارة العربية والاسلامية درسا منهجيا دقيقا سار على غراره كثير من الباحثين والعلماء في عالمنا العربي والاسلامي .

ولست أريد في مقالي هذا أن أتناول بالدرس والتحليل أبواب ذلك الكتـــاب ، ولكنني أود أن أؤكد أن هذا السفر الفذ قد حفزني الى تناول موضوع تأثير الحضارة الاسلامية الأندلسية

في الغرب الأوروبي بصفة عامة ، حينما كان للإسلام دولة في ربوع الأندلس تزهو بجامعاتها ومكتباتها وقصورها ومستشفياتها ومنشآتها العمرانية العظيمة في قرطبة وأشبيلية وغرناطة وسرقطة وبلنسية وغيرها من مدائن الأندلس الكبرى ، التي كانت تتيه بأمجادها الحضارية المتألقة ، حيث تتلاشى أمامها حضارات الغرب الأوروبي الذي كان يتلمس طريقه الى نور العلم والمعرفة ، والانفكاك من ربقة الجهل والجمود . فأرسل أبناءه ومبعوثيه وتجاره الى تلك الحواضر الكبرى ينهلون من منابع العلم في جامعاتها الزاهرة ، أو يحملون رسائل الود والطاعة والاستنجاد لخلفاء المسلمين وملوكهم وأمرائهم فيها ، أو يتعاطون شؤون التجارة مع أقرانهم التجار المسلمين ، فيعودون الى بلادهم وقد انطبعت في أذهانهم وقلوبهم صور مشرقة من حضارة المجتمع الأندلسي ، فيحاولون محاكاتها والتأثر بها فيما يحيط بهم من مظاهر حياتهم اليوميـــة .

ومن المعروف أن القائد البطل المسلم طارق ابن زياد ، قد فتح الأندلس عام ٥٩٢ هـ بجيش بلغت عدته سبعة آلاف مقاتل ، وعبر بهم المضيق الذي يفصل شبه الجزيرة الايبيرية عن افريقيا ، ونزل من جنوب شبه الجزيرة في المكان الذي سمي باسمه فيما بعد . واستطاع ذلك القائد المظفر أن يهزم جيوش القوط رغم تفوقها في العدد والعدة على جيش المسلمين ، وأن يفتح معاقل الأندلس واحدة بعد أخرى حتى أخضع مدينة طليطلة عاصمة القوط ، وأقام دولة الإسلام في الاندلس على أنقاض دولة القـــوط .

ومن هذه البداية الظافرة أخذت جيوش المسلمين تنطلق في فتوحات مجيدة في عصر ولاة الأندلس والعصر الأموي حتى استطاعوا عبور جبال البرينيه ، والتغلغل في أنحاء فرنسا . ولم يقف في طريق توسعهم في القارة الأوروبية ثمة الا « شارل مارتل » الذي هزمهم في « تور — وبواتيه » ، بيد أنه لم يستطع برغم هذا أن يطردهم نهائيا من امبراطوريته . فلقد بقي العرب في ولايات الألب الغربية ، حيث بذروا بذور حضارتهم ما يقرب من مائة عام ، بل انهم تقدموا في منتصف القرن العاشر في انجادين بعد أن استخدمهم ملك « لومبارديا » . وما زالت قنطرة بونتريزينا (في أقاصي جبال الألب السويسرية) هناك أثرا بينا لهؤلاء القوم المبدعين(١) .

وما من شك في أن أعظم ما ساعد على سرعة الفتوحات الاسلامية في الأندلس هو ما اتسم به الفاتحون المسلمون من صفات التسامـــح والانسانية والرفق في معاملتهم مع سكان شبه الجزيرة . فأدى ذلك الى انتشار الاسلام بينهم بسرعة فائقة ، حتى صارت الغالبية العظمى بين سكان الأندلس من المسلمين .

وبجانب هذه الأكثرية المسلمة ضم المجتمع الأندلسي أقليات ليست صغيرة من المسيحيين الذين كفلت لهم حرية العبادة ، فتجاورت المساجد والكنائس في سماحة ، وتعايش المسلمون في الأندلس على أخوة . وقد بهرت الحضارة الاسلامية هؤلاء المسيحيين الذين كانوا يعايشون المسلمين في الأندلس ، فأخذوا من هذه الحضارة ومن أصحابها الشيء الكثير ، وقلدوا المسلمين في لغتهم وتعلموا ثقافتهم ، بل لبسوا ملابسهم وعاشوا على نمطهـــم ، ولـــذلك سمو بالمستعربين .

وليس غريبا بعد ذلك أن نسمع الشكوى التي يطلقها رجل من رجال الدين المسيحي في قرطبة ، واسمه «الفارو» القرطبي حيث يقول : « ان اخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم . ويقبلون عـــلى دراسة مذاهب أهل الدين والفلسفة للمسلمين ، لا ليردوا عليها وينقضوها ، وانما لكي يكتسبوا من ذلك أسلوبا عربيا جميلا صحيحا . وأين تجد الآن واحدا من غير رجال الدين يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت على الأناجيل المقدسة . ومن سوى رجال الدين يعكف على دراسة كتابات الحواريين وآثار الأنبياء والرسل ؟ يا للحسرة . . ان الموهوبين من شباب النصارى لا يعرفون اليوم الا لغة العرب وآدابها ويؤمنون بها ، ويقبلون عليها في نهم . وهم ينفقون أموالا طائلة في جمع كتبها ويفخرون في كل مكان بأن هذه الآداب حقيقة جديرة بالاعجاب . فإذا حدثتهم عن الكتب النصرانية أجابوك بأنها غير جديرة بأن يصرفوا اليها انتباههم . يا للألم . . لقد أنسي النصارى حتى لغتهم ، فلا نكاد نجد في الألف منهم واحدا يستطيع أن يكتب الى صاحبه كتابا سليما من الخطأ . فاما عن الكتابة في لغة العرب فانك واجد منهم عددا عظيما يجيدونها في أسلوب منمق ، بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم »(٢) .

وهكذا تغلبت العربية على اللاتينية في شبه الجزيرة ، وغدا الاسلام الدين الرسمي للبلاد . . كما أصبحت العربية اللغة الرسمية كذلك .

وعندما يرد على ذهن الانسان العربي كلمة الأندلس ، تتمثل أمام ناظريه مدينة قرطبة (زينة الدنيا) كما أسمتها «هونكه» . تلك المدينة التي شهدت كفاح شاب أموي يتيم . مات أبوه وتركه صغيرا ، فكفله جده «هشام» . ثم لما حلت النكبة ببني أمية فر بأهله وولده الى المغرب ومنها الى الأندلس . حيث استطاع بعد أعوام من الكفاح المضني أن يعيد تأسيس دولة بني أمية في الأندلس ، فاستحق بذلك لقب (صقر قريش) .

ولقد توارث الملك بعده أبناؤه وأحفاده حتى انعقدت الامارة لعبد الرحمن الأكبر سنة ٣٠٠ هـ . فاستطاع بدهائه وحنكته السياسية وقوة شخصيته أن يوطد ملك بني أمية في الأندلس ، وأن يقضي على منافسيه من أمراء العرب والبربر والاسبان ، وأن ينقذ الحضارة الاسلامية الأندلسية المجيدة مما كان يتهددها من الثورات الداخلية والغزوات الخارجية ، الَّتي كانت توشك أن تطيح بالامارة الأموية ، وربما بالحكم الاسلامي في الأندلس أيضا .

ولقد أمكن لعبد الرحمن الناصر في السنوات الأولى من حكمه الذي استمر خمسين سنة أن يخضد شوكة الممالك المسيحية في شمال الأندلس بعد أن جرد لها الجيوش لتأديب الخارجين عليه فيها . فوفق الى ذلك أيما توفيق وأتته ملوك

---

(١) «شمس العرب تسطع على الغرب» لزيغريد هونكه (٢) «تاريخ الفكر الأندلسي» ترجمة الدكتور حسين مؤنس .

النصارى خاضعين له ، متعهدين له بدفع الجزية ، ساعين اليه بارسال سفرائهم إلى بلاط ملكه في قرطبة لاستجلاب وده ، وتوثيق العلاقات السياسية بينه وبينهم ، ولعل من أشهر تلك السفارات سفارة ملك بيزنطيه ، وامبراطور الألمان «أوتو» الأكبر ، وغيرهما من ملوك أوروبا .

وهكذا استحق هذا البطل الأندلسي العظيم لقب الخليفة . الذي أمر أن يخاطب به بعد انتصاراته الباهرة ، وبعد أن أصبح فعلا من أعظم حكام الإسلام في ذلك الحين .

ولقد استطاع عبد الرحمن الناصر أن يجعل من الأندلس قصرا ينعم بضروب الازدهار المادي والرخاء الاقتصادي والتنظيم الاجتماعي الشامل ، وأن يخلق من الأمة المنقسمة على نفسها من النواحي السياسية والدينية والقومية شعبا متحدا فاد العالم في مختلف مجالي التقدم المادي والفكري. فكانت قرطبة عاصمة الخلافة في عهده سيدة المدن ، اذ كانت بضواحيها الثماني والعشرين حول منتصف القرن العاشر الميلادي أكبر مدن أوروبا بأكملها . وعلاوة على مئات القصور التي شيدها الخليفة الناصر وعلية القوم فيها ، فقد حوت قرطبة (١١٣) ألف منزل و (٦٠٠) مسجد و (٣٠٠) حمام و (٨٠) مدرسة و (١٧) مدرسة عليا و (٢٠) مكتبة عامة فيها عشرات الآلاف من الكتب .

كان ذلك حال قرطبة في وقت لم يتجاوز فيه تعداد أي من المدن الأوروبية ٣٠ ألف نسمة . اذا استثنينا القسطنطينية .

ولم يكن في هذه المدن اقليم اوروبي يملك مدرسة عليا أو مستشفى ، كما ندر فيها وجود المكتبات العامة أو الحمامات ، ولم تعرف أوروبة آنذاك الشوارع المرصوفة .

ومضى على ذلك قرنان من الزمان قبل أن تتخذ باريس عام ١١٨٥ م من قرطبة مثالا لها ، فترصف شوارعها وتنظفها . ومضى قرن آخر قبل أن تحذو بقية المدن الأوروبية حذوها .

ومما لا شك فيه أن تلك الأمثلة العربية الحية كانت مثار اعجاب الزوار المسيحيين للأندلس ، وأنهم قد نقلوها الى بلادهم .

وتسجل الراهبة الشاعرة «هروزفيتا» ، وهي في صومعتها بدير «جاندرز هايم بسكسونيا» اعجابها بقرطبة ، فتقول في أغنية جميلة : «قرطبة المدينة الشابة ، هي زينة الدنيا .. قرطبة شهيرة بجمالها ، فخورة بقوتها .. قرطبة هي التي حوت كل شيء تزهو به المدن (٣) .

ولا بدع ان رأينا كاتبا انجليزيا يتحدث عنها في اعجاب بالغ ، فيقول : «ما كان أحلى قصور قرطبة وحدائقها . ولم يكن ما يثير الاعجاب فيها أقل روعة وابداعا . كانت المدينة نابضة بالحياة . أما النشاط الفكري فيها فكان حيا كالمدينة ذاتها . »

ولعل سر عظمة مدينة قرطبة التي بهرت زائريها من عرب ومسيحيين تتجلى في القصور والمباني الفخمة التي أقامها الخليفة الناصر ، وكبار رجال دولته ، وسراة القوم في عاصمة الخلافة .

فلقد ابتنى الناصر مدينة الزهراء في شمال قرطبة ، وجعل بها قصرا للخلافة ، وبيوتا لرجال الحكومة والبلاط ، ومساكن للحرس والجند ، ومسجدا للصلاة والتعليم .

وكان للخليفة في قصره مجلس يسمى مجلس الذهب لأن قبته وجدرانه قد كسيت بهذا المعدن الثمين . وقد أقيم في هذا المجلس حوض عجيب نصبت عليه تماثيل من الذهب المرصع بالدر النفيس ، وهي في صور الأسد ، والغزال ، والتمساح ، والثعبان ، والعقاب ، والفيل ، والحمامة ، وكلها تمج الماء من أفواهها في الحوض(٤) .

وقد استخدم في بناء هذه المدينة عشرة آلاف عامل ، ظلوا يبنون تلك المدينة الفذة مدة خمسين عاما متواصلة . وقدر ما كان ينفق عليها كل عام بثلاثمائة ألف دينار ، حتى غدت تحفة فنية رائعة . أجمع كل من شاهدها من القادمين من مختلف البلدان على انهم لم يشاهدوا في حياتهم أروع منها .

وليس مجال القول متسعا للافاضة في ذكر النهضة العمرانية الشاملة التي انتهت اليها الاندلس في عهد عبد الرحمن الناصر ومن أتى بعده من خلفاء بني أمية ، ولكن المسافر على طول الوادي الكبير لا يكاد يقع بصره الا على قصور وبساتين على امتداد النهر من ناحيتيه . فكانت الاندلس بذلك جنة من جنان الدنيا ، وحق لشاعرهم الغرد «ابن خفاجه» أن يصدح قائلا :

يا أهل أندلس لله دركمو
ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد إلا في دياركمو
ولو تخيرت هذا كنت أختار

وعندما مات عبد الرحمن الناصر خلفه في الحكم ابنه الحكم . وكان كأبيه حازما حسن التدبير وعالما غزير العلم . أخذ أفانين اللغة والأدب على يد مؤدبه الشهير ابن علي القالي صاحب (الأمالي) ، فنشأ كأبيه محبا للعلم راعيا للعلماء ، وجعل كل همه السير بالأندلس حثيثا في طريق العلم والمعرفة حتى يكون في مكان الصدارة بين الأقطار المتحضرة .

ولم يكن معنى ذلك ان اسلاف الحكم لم يهتموا بالحركة العلمية . لقد كانوا هم الذين جعلوا من كل مسجد مدرسة ، وانشأوا في كل حي دارا للكتب ، وزودوها بمئات الألوف من الكتب التي جعلوها في متناول الجميع . ولكننا نعني ان الحكم قد بلغ الذروة في تشجيعه للعلم والعلماء . فقد انشأ على سبيل المثال سبعا وعشرين مدرسة جديدة يتعلم فيها أبناء الفقراء مجانا ، ودفع من ماله الخاص أجور معلميها . كما ساهم بنفسه في كل نواحي النشاط العلمي والأدبي في قرطبة . واستغل الثروات الضخمة التي تركها له أبوه في الانفاق على الابحاث العلمية وشراء الكتب . وانتشر رجاله في مراكز الثقافة الاسلامية يبحثون عن النادر من الكتب والمخطوطات ، ويدفعون أعلى الأثمان بغية الحصول عليها ، بل كانوا يصادقون تجار الكتب في كل مكان ليدلوهم على ما صدر منها أو ما هو بسبيله الى الصدور . وكان يحدث كثيرا أن يشتروا الكتب من مؤلفيها أو ناشريها لتصدر في الأندلس ، قبل أن ترى النور في البصرة أو الموصل . فكان الحكَمْ يجد متعة كبيرة في أن يكون أول قارىء لما يصدر من الابحاث الجديدة(٥) ،

(٣) «شمس العرب تسطع على الغرب» لزيغريد هونكه

(٤) «الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة للدكتور أحمد هيكل .

(٥) «شمس العرب تسطع على الغرب» لزيغريد هونكه

كما فعل مع أبي الفرج الاصبهاني حين وجه اليه ألف دينار ليرسل اليه نسخة من كتابه (الأغاني) .

وحسبك انه قد جمع مكتبة حوت أربعمائة ألف كتاب ، يقال أن الحكَم قد علق عليها جميعا ، بل وبعث بتعليقاته الى مؤلفيها شخصيا .

وإذا كانت الاندلس قد نعمت بضروب الاستقرار والرفاه والرخاء المادي والعدالة الاجتماعية الشاملة في ظلال حكم الناصر وحكم المستنصر ، والمنصور بن أبي عامر ، فقد أتاح ذلك للحركة الفكرية ان تزدهر في ظلال فترة الخلافة ، وان تنهض الثقافة الاندلسية نهضة شاملة كان من مظاهرها بروز شخصية مستقلة للأندلس في مختلف مناحي العلوم والفنون والآداب . فظهر في هذه الفترة شعراء كابن عبد ربه ، وابن هاني ، والزبيدي ، وأبو جعفر المصحفي ، وصاعد البغدادي ، والرمادي ، وابي المغير بن حزم ، وابي محمد بن حزم ، وابن شهيد . كما ظهر مؤرخون من طبقة الرازي ، وابن القوطية ، وعبد الملك بن حبيب ، وعريب ابن سعد ، والخشني .

ولقد ظهرت الى الوجود بوادر حركة فلسفية ورياضية وفلكية على يد ابن مرة ، ومسلمة المجريطي ، الذي يعتبر نابغة الاندلس في الرياضيات واقليدسها .

أما في الطب فقد نبغ أبو القاسم الزهراوي ، وهو المعروف عند الافرنج باسم «أبو لكاسيس» ، وقد طار ذكره في الخافقين ، واشتهر بالبراعة في الجراحة . وكتابه المسمى «التعريف لمن عجز عن التأليف» يعتبر بحق موسوعة طبية ، وقد ترجمه الى اللاتينية «جيرارد والكريموني» وكثر اعتماد الناس عليه في القرون الوسطى . وقد طبعت الترجمة اللاتينية لكتاب الزهراوي على مراحل ، ففي عام ١٥١٩ طبع منها جزء بعنوان «النظر والعمل» . وكان آخر جزء قد طبع وكثر استعماله منذ عام ١٤٧١هـ كتاب «الخادمين» ، وموضوعه تحضير الأدوية المفردة ، وقد انتفع به الناس كثيرا . أما الجزء الثلاثون من كتاب الزهراوي الذي نشر باللغة اللاتينية باسم «الجراحة» ، فقد كان أهم وأذيع كتاب في تاريخ الطب كله . وقد ارتفع به الزهراوي في أعين الناس الى طبقة أبقراط وجالينوس . وهو يحوي رسوم الآلات الجراحية ، كما أنه أول مؤلف جعل الجراحة علما قائما بذاته مستقلا عن الطب ، وأقامها على أساس من العلم بالتشريح(٦) . وبالاضافة الى ذلك أدخل هذا الطبيب العربي النابغة تجديدات كثيرة في مداواة الجروح ، وفي تفتيت الحصاة داخل المثانة . وقبل «بريسيفال بوت» بنحو ٧٠٠ سنة، اهتم هذا الجراح العربي بالتهاب المفاصل وبالسل في خرزات الظهر (فقراته) الذي سمي فيما بعد – باسم الانجليزي «بوت» – بالداء البوتي ، وطور فرع الأمراض النسائية ، بأن أدخل عليه طرقا في البحث والمداواة جديدة وآلات حديثة ، بعد ان كان على يد الأغريق في مستوى غير لائق(٧) . فسبق غيره في اجراء كثير من عمليات أمراض النساء المعقدة ، كحالات الولادة العسيرة المعروفة بولادة الحوض ، بالاضافة الى عمليات استخراج ماء العين (الكتاراكتا) بواسطة ابرة . ومن الطريف أن يطلع المرء على وصفه للأدوات الجراحية التي كان يستعملها في عصره ، فقد أمدت رسومه الجراحين وأطباء العيون والأسنان الأوروبيين بالآلات اللازمة لاجراء العمليات .

ولعل من مظاهر الوثبة الفكرية الكبرى التي وثبتها البلاد الأندلسية في فترة الخلافة ظهور عالم فذ هو عباس بن فرناس الذي يعتبره بعض مؤرخي العلوم من مفاخر الفكر الانساني عامة ، فهو أول من استنبط صناعة الزجاج من الحجارة بالاندلس ، وهو أول مخترع للآلة المعروفة بالمنقال لمعرفة الأوقات ، وهو من أوائل من حاولوا الطيران في التاريخ .. وكان ابن فرناس الى ذلك أديبا شاعرا(٨) .

وعندما تقسمت الدولة الأموية الى طوائف بعد استبداد العامريين بأمر الخلافة في قرطبة أخذ رؤساء الطوائف يستقلون بالامارات التي يلون أمرها ، وعرفوا في تاريخ الأندلس بملوك الطوائف . ولا امتراء في أن ملوك الطوائف في قرطبة ، وأشبيلة ، وسرقسطه ، وبطليوس ، وطليطلة ، وغرناطة ، كانوا رغم خلافهم السياسي مع بعضهم البعض خير رعاة للحركة الفكرية التي اختمرت في ظلال عهد الخلافة . فقد أخذ هؤلاء الملوك يتنافسون في اجتذاب جمهرة العلماء والأدباء والشعراء الى بلاطاتهم ، ويغدقون عليهم ضروب المنح والجوائز السنية ، ويوطئون لهم أكناف مجالسهم ، ويتيحون لهم قدرا كبيرا من حرية الرأي والتفكير . فازدهرت حركة العلوم والآداب والفنون أيما ازدهار ، ولمع في سماء المجتمع الأندلسي نجوم زواهر أضاءت جوانبه وأفاءت عليه ضروب الشهرة والمجد ، ومكنت له من الخلود بين صفحات التاريخ الاسلامي ، بله التاريخ الانساني كله . ففي قرطبة حيث استولى على أزمة الحكم فيها الوزير الشاعر أبو الحزم بن جهور ، ظهر ابن حزم الذي جال بفكره في مختلف فنون المعرفة . وهو أحد الأفذاذ الذين يزهى بهم تاريخ الفكر الاندلسي. فمؤلفاته وما انطوت عليه من علم غزير وفكر لماح وتحليل نفسي دقيق تنبيء عن تقدم فكري وحضاري ساحق . أما كتابه في تاريخ الأديان المعروف باسم «الفصل في الملل والنحل» ، فهو بحق كما يقول عنه المستشرق الاسباني الضليع «ميجيل آسين بلاثيوس» : (قد سبق به أوروبا النصرانية بضعة قرون ، لأن التاريخ للأديان لم يعرف في الغرب الا في منتصف القرن التاسع عشر) .

وفي أفياء مدينة قرطبة ترددت أغاريد الشاعر المجيد ابن زيدون تحمل أنات قلبه المكلوم ولوعات حبه المضطرم لولادة بنت المستكفي سليلة البيت الأموي العريق ، واحدى الأديبات الشاعرات اللائي لمعن في سماء المجتمع الأندلسي المترف .

كما نبغ من مؤرخي الأندلس في قرطبة أبو مروان ابن حيان الذي وضع عدة كتب في تاريخ الاندلس ، كان أشهرها كتابه (المقتبس) الذي يقع في عشرة أجزاء ، تناول فيه تاريخ الأندلس من لدن افتتاحها على يدي طارق بن زياد الى زمن المؤلف .

---

(٦) «تاريخ الفكر الأندلسي» لانخل بالنثيا .

(٧) شمس العرب تسطع على الغرب» لزيغريد هونكه

(٨) «الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة للدكتور أحمد هيكل .

وإذا كان آل المعتصم بن صمادح في المرية ، وبنو عباد في أشبيلية قد عنوا عناية خاصة بالأدب والشعر حتى نبغ في بلاطهما كثير من فحول الشعراء كابن شرف البرجي ، وابن حمديس الصقلي ، وابن عمار ، وأبي بكر بن اللبانة ، فان بني هود قد اجتذب بلاطهم طائفة طيبة من العلماء والأطباء والفلاسفة كابن باجه ، الذي كان ملما بجميع علوم اليونان وخلف ثروة فكرية في الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية ، والزرقالي الذي قيل عنه « انه يعتبر أعظم أهل الفلك من العرب ، وهو من طبقة أكابر علماء هذا الفن في العصور القديمة بسبب طول ممارسته له واستقامة منهجه فيما يبديه من ملاحظات استخرجها من تجاربه المباشرة . »

لقد وضع الزرقالي جداول فلكية ، وركب أسطرلابا ، واخترع الصفيحة التي قرظها العالم الأوروبي « راجيو مونانوس » ودخلت الى مجال علم الفلك تحت اسم « الأسطرلاب الزرقالي » ونالت اهتماما كبيرا من قبل علماء الفلك الأوروبيين في مطالع عصر النهضة الأوروبية . ففي عام ١٥٠٤م كتب العالم الفلكي البافاري « يعقوب تسيجلر » تعليقا على كتيب هذا العالم العربي ، وفي عام ١٥٣٤م ظهرت ترجمة جديدة لاتينية تحت عنوان « فـي علم آلة أبي العلوم الفلكية » ليوحنا شوانر في مدينة « نورنبرج » بألمانيا . وقد سبق الزرقالي غيره في ابتكار نظريات هامة جديدة في الفلك عن الكواكب السيارة والحركات الدائرية للنجوم ، كما أنه تصدى لمعارضة نظرية بطليموس في كتابه الشهير (المجسطي) ولكن معاصريه لم يأبهوا لرأيه . بيد أن ملكا عالما هو « ألفونسو العاشر » أحد ملوك مملكة « قشتالة » المسيحية استفاد هو وعلماؤه في الفلك من مؤلفات هذا الفلكي العربـي العظيم ، فانه أمر بالرجوع الى كتاب « أفق الدنيا » ورسالة « في العمل بالصفيحة » و « طريقة عمل أسطرلاب لرصـد الكواكب السبعة وأفلاكها » .

ولعل من الخير أن نشيد بأحد عباقرة الفكر العربي الأندلسي الذين كان لهم تأثير عظيم في انماء الفكر العربي ، وأعني به أبو اسحاق البطروجي الذي يدعونه في أوروبا «بالبتراجيو» . وقد عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي ، وكان تلميذا للفيلسوف ابن طفيل ، واليه يرجع الفضل في ابتداع نظرية فلكية جديدة في حركات النجوم . والمظنون الآن أن آراء البطروجي هذه كان لها الفضل في زعزعة رأي مأثور جيلا بعد جيل .. حيث عارض بصراحة تعاليم بطليموس ، مسهما بذلك في وضعهـا موضع الشك ، وفي الاعداد لتقويضها في المستقبل . على ان هذه الآراء كانت تعد عند معاصريه تجديدا ايجابيا هاما ، بل لقد تحدثوا حينذاك عن علم الفلك الجديد . وكان البطروجي يسمى أيضا عند الكتاب اليهود « هامرئيش » أي المزعزع لمذهب الأفلاك(٩) .

وفي القرن نفسه قام المهندس والعالم الرياضي العربي جابر بن أفلح الأشبيلي المتوفى سنة ١١٩٠ بتصميم وبناء برج أشبيلة ، الذي يعتبر أول مرصد في أوروبا ، ليراقب منه تغير الفصول ومنازل الشمس .

وقد حفل القرن السادس الهجري أو الثاني عشر الميلادي في الأندلس بطائفة من نوابغ الفكر العربي ، كابن طفيل العالم والطبيب والفيلسوف . وقد عاش مع زميله أبي الوليد ابن رشد في بلاط خلفاء الموحدين بمراكش . واشتهر الأول بقصته (حي بن يقظان) اما ابن رشد فقد اعتبره مؤرخو الفلسفة المسلمون والمسيحيون على السواء قمة التفكير في العصور الوسطى فقالوا عنه : « انه أشهر فلاسفة الاسلام ، وأكبرهم بلا ريب ، ثم انه أعظم الفلاسفة أثرا في التفكير الأوروبي . ان أرسطو نفسه لم يشغل العقل الأوروبي كما شغله ابن رشد . واذا أنكر بعضنا أن يكون ابن رشد أعظم في التفكير الأوروبي أثـرا من أرسطو ، فانه لا يستطيع أن ينكر أن أثر أرسطو في العقل الأوروبي كان في معظمه نتاج شروح ابـن رشد عـلى كتب أرسطو (١٠) . »

ولم تقف مواهب ابن رشد عند حدود الفلسفة ، بل لقد كان فقيها جليلا وفلكيا نابها وطبيبا مبرزا . أنتج لنا كتاب (الكليات فـي الطب) الذي كثر تداوله في العصور الوسطى لحفوله بمعلومات ثرة تناولت التشريح ، ووظائف الأعضاء ، والأمراض وأعراضها ، والأدوية ، والأغذية ، وطرق المحافظة على الصحة ، والعلاج . كما أغنى تراث الانسانية بالكثير من المؤلفات في علوم العقائد ، والفقه ، والفلسفة ، والفلك .

وقامت في القرون الوسطى مناقشات علمية حامية في دوائر الفكر الأوروبي ما بين مؤيد لآراء ابن رشد ونظرياته الفلسفية ومعارض لها . « فتوما الاكويني » أحد أقطاب الفلسفة الأوروبية الوسيطة كان من أشد خصوم مذهب ابن رشد ، رغم انه كان في الوقت نفسه تلميذا له في منهج التفكير وطريقة التأليف . وقد أثبت المستشرق « اسين » اعتماد « توما » على ابن رشد في حل كثير من المعضلات الفكرية . على انه من ناحية أخرى نجـد أن العالم الفيلسوف الانجليزي « روجر بيكون » ورجال المدرسة « الفرانشسكية » في جامعة باريس يؤيدون مذهبه .

وإذا كان ابن رشد قد أهدى كتابه «الكليات في الطب» الى استاذه أبي مروان عبد الملك ابن زهر الذي تحدر من عائلة اشبيلية عريقة في الطب ، فان زعامة الطب قد آلت الى عبد الملك بن زهر في عصر خلفاء الموحدين ، فكان من رأيه أن على الطبيب أن يبتعد عن تحضير الأدوية ، وكان بذلك سباقا الى مفاهيم الطب الحديث الذي يرى وجوب فصل الطب عن الصيدلة .

وركز ابن زهر اهتمامه كله على الطب الباطني وألف فيه كتاب « الاقتصاد » وهو دراسة للطب بصورة عامة . كما أن له كتابا آخر في الأغذية والأدوية . بيد أن أشهر كتبه هو « التيسير في المداواة والتدبير » وقد أهداه الى تلميذه ابن رشد ، ويعتبر موسوعة طبية تتجلى فيه مواهب ابن زهر واصالته في فنون العلاج وانفته من أن يساير نظريات جالينوس أو غيره من مشاهير قدامى الأطباء ، مفضلا الاعتماد على ملاحظاته المباشرة وتجاربه الشخصية وممارسته الخاصـة لمختلف الحالات المرضية التي تعرض له .

---

(٩) «العلم عند العرب» للالدوميبلي .

(١٠) «تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون» للدكتور عمر فروخ .

المملكة العربية السعودية
تشترك في معرض طرابلس الدولي



المدخل الرئيسي لمعرض طرابلس الدولي وقد ازدانت واجهته الأمامية بأعلام الدول المشتركة ويبدو هنا بعض المشاهدين في طريقهم الى الأجنحة لاستطلاع معروضاتها العديدة .



المدخل الخاص بجناح المملكة العربية السعودية ، ويبدو هنا بعض المشاهدين أثناء زيارتهم لأرجاء الجناح .

دأبت المملكة العربية السعودية على المشاركة في المعارض الدولية ، من حين الى آخر ، ايمانا منها بالفائدة المتوخاة من هذه المعارض ، والدور الفعال الذي تقوم به في اعطاء المشاهدين صورة جلية عن مناحي التطور في مختلف المجالات التجارية والصناعية والاقتصادية ، وذلك عن طريق النماذج والصور والرسوم .

فلأشهر أربعة خلت ، اشتركت المملكة العربية السعودية إلى جانب ٢٨ دولة و ٢٥٠ مؤسسة تجارية وصناعية عربية وأجنبية في معرض طرابلس الدولي السادس في ليبيا . وقد دام افتتاح المعرض مدة ٢١ يوما شاهده خلالها زهاء ٢٥٠٠٠٠ شخص .

والجدير بالذكر أن معالي وزير التجارة والصناعة السعودي الأستاذ عابد شيخ ، قد حضر حفل الافتتاح بدعوة من وزارة الاقتصاد والتجارة الليبية . وهذه هي المرة الثانية التي تشترك فيها المملكة العربية السعودية في معرض طرابلس الدولي.

كان الجناح السعودي من الأجنحة البارزة التي حظيت باقبال متزايد على معروضاتها ومحتوياتها ، وكان في مقدمة أولئك الذين شاهدوا جناح المملكة وحاز تقديرهم معالي رئيس الوزراء الليبي . وقد اتسمت أجزاؤه التي شغلت مساحة قدرها ٤٢٠ مترا مربعا ، بجمال التنسيق وحسن التوزيع والذوق السليم مما حدا بالمشاهدين الى التردد عليه أكثر من مرة .

ومن بين المعروضات التي احتوى عليها الجناح السعودي ، المصنوعات اليدوية التقليدية ، والأقمشة ، ومساحيق التنظيف ، والأواني المصنوعة من اللدائن والألمنيوم ، والمصنوعات الجلدية ، كما شمل عينات مختلفة للمنتجات المحلية كالبقول والربيان والتمور والاسمنت والرخام . وكذلك ازدان الجناح السعودي بعرضه نموذجا لستارة باب الكعبة المشرفة صنع في مكة المكرمة من قطيفة ثمينة موشاة بالذهب والفضة ومجللة بالآيات القرآنية الكريمة ، ومصحفا كريما في علبة من الذهب ، وآخر مخطوطا كتب على جلد الغزال ، ويرجع عهده الى قبل نحو ٨٠٠ عام .

ومن ضمن المعروضات البارزة التي شملها الجناح السعودي ثماني صور تمثل مراحل صناعة الزيت المعقدة ، وثلاثة نماذج لمنشآت معمل التكرير في رأس تنورة ، الى جانب عينات من المشتقات البترولية التي تنتجها شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) . كما ضم المعرض نموذجا لعمليات استخراج الزيت من حقل «الخفجي» المغمور بمياه الخليج العربي ، والواقع ضمن المنطقة المحايدة بين المملكة العربية السعودية والكويت .

هذا وقد تولى ادارة الجناح السعودي في معرض طرابلس الدولي السيد طاهر جاوه ، رئيس قسم المعارض بوزارة التجارة والصناعة لدى حكومة المملكة العربية السعودية ، وساعده السادة : الشريف يحيى زين العابدين ومحمد صالح النجيدي، وزين توفيق . وأشرف على تنسيق قسم الزيت في الجناح السيد علي قناديلي ممثل العلاقات العامة في أرامكو .

عوني ابو كشك

من بين المعروضات التي ازدان بها الجناح السعودي في معرض طرابلس الدولي ، نموذج لستار باب الكعبة المشرفة صنع في مكة المكرمة ، ومصحف كريم خطت آياته البينات على جلد الغزال ، يرجع عهده إلى قبل نحو ثمانية قرون .

نماذج مختلفة لصناعتي الأثاث والأسمنت تظهر معالم التقدم في المملكة .

التجديد في الشعر العربي المعاصر [1]
بين ثلاثة من رواده

بقلم الاستاذ فؤاد مكاوي

الشعر فن رفيع ، فن مخاطبة المشاعر والعواطف والوجدان ، وهو ضروري للانسان في حياته الروحية والمادية جميعا .

فهو الذي يوقظ العقل ويحرك الفكر ، ويهز أعماق الوجدان ، وهو يسير أبدا في سبيل التقدم والسمو والتجديد ، كره الكارهون أو رضوا ، ويتفاءل الدكتور أحمد زكي بمستقبل الشعر فيقول :

« المشاهد أن رقي الحضارة يرهق الأعصاب ، ويحد الأذهان ، ويزيد رقة الاحساس ، وكل هذه عوامل تنتج الشعر ، وتهيىء النفوس لقبوله ، بل الى الالحاح في طلبه غذاء روحيا لها ، فمن ينكر المستقبل للشعر مخطىء لم يدرس بعناية العوامل التي أنبتت الشعر منذ فجر المدنية ، ولا تزال تغذيه ، وتحافظ عليه ، وستضمن له خلوده » .

وقد دعا كثير من النقاد والمفكرين الى التجديد في الشعر العربي ، حتى يستطيع أن يؤدي رسالته الفنية في الحياة ، وأن يتقدم باستمرار في عصر العلم ويزدهر .

ومن هؤلاء الدعاة من يدعون الى التجديد في موضوعات الشعر ، ليتسع لشتى أغراضه وألوانه كالحياة ، والطبيعة ، والعلم ، ووصف خواطر النفس الانسانية ، وتأملات الفكر . وهذا تجديد لا يعيبه أحد ولا يذمه ناقد ، ويجب أن يمتد ويسير الى نهايته ، فيصبح الشعر القصصي والتمثيلي فنين ذائعين في شعرنا المعاصر .

ومنهم من دعا الى التجديد في معاني الشعر ، ليتسع لشتى الأفكار والمعاني التي اتسع لها وشملها الشعر الغربي ، وليتصل بالحضارة وسير الثقافة ، ويلقح بالفلسفات المختلفة ، وبالجديد المبتكر من العلوم والفنون . ولا شك أن في هذا محاولة للسمو بالشعر ، والسير به الى غاياته المنشودة ، فلا يمكن أن يذم ذلك اللون من التجديد انسان .

ومنهم من دعا الى التجديد ، في أسلوب الشعر وألفاظه ، وأخيلته ، باختيار الجيد البليغ من أساليب الشعراء القدامى الذي يمثل حياتنا ويوائمها ، وباقتباس ما يجدي ويصلح من أساليب الغرب وأخيلته ، اقتباسا بعيدا عن الضعف والركاكة والعجمة ، مع محاولة جعل الأسلوب ممثلا للبيئة التي نعيش فيها ، وهذا في رأيي منطق مقبول . انما الذي لا نقبله هو دعوة المنحرفين الذين يدعون الى الاقتباس من العامية ، واختيار ما يلائم أذواقنا منها من ألفاظ وأساليب وصور .

وآخرون يدعون الى القصيدة النثرية أو الى الشعر الحر المرسل ، أو مجمع البحور وهو تجديد يصعب أن يكتب له النجاح والحياة على علاته .

يقول الشاعر بول فاليري الفرنسي : « ان للشعر في الافهام معنيين : أولهما أنه مجموعة من العواطف والانفعالات التي تهيجها في نفوسنا أحداث الزمن ، وجمال الطبيعة ومعاني الوجود وألوان الحياة . وثانيهما أنه فن قائم وصناعة عجيبة ، تتناول الأهواء المشبوبة بالتنسيق ، والتأليف ، والجلاء ، ثم تبرزها لغة جميلة تطرب لها الأذن ، ويهتز منها القلب . وبين المعنيين صلة شديدة . والعواطف الانسانية تغاير كل التغاير ما نسميه بالعاطفة الشعرية ، فالعاطفة الشعرية تتصل بالحب والألم ، والخوف ، والغضب ، وما الى هذا من مشاعر النفس ، وأهواء القلب . وهي احساس قوي بحياة غريبة وشعور واضح بعالم جديد . والشعر أداة حية عملية يحقق بها الشاعر فناً أبى إلا أن يسمو على المادة » .

والثلاثة الرواد الذين أعنيهم ، والذين دعوا الى التجديد في شعرنا المعاصر هم الزهاوي ، ومطران ، وأبو شادي .

أما الزهاوي فمع كلاسيكيته ونهجه منهج أبي العلاء في شعره ، فقد كان يؤمن بالتجديد في الشعر على أوسع نطاق ، وأكبر أفق . يقول الزهاوي : « لا بد من تقدم الشعر العربي أكثر مما هو عليه اليوم ، بتقدم أهله في العلوم والحضارة ، فيكون له ما للشعر الغربي ، وهذا لا يدعو أن يشعر الشاعر العربي شعور الشاعر الغربي ويحس احساسه ، بل ان يتقدم الشاعر العربي في شعوره الخاص به تقدم الغربي في شعوره . » ويقول أيضا :

« سيرتقي الشعر العربي أكثر مما هو عليه اليوم طبقا لارتقاء شعور العرب المناسب لحضارتهم وعلومهم . كما ارتقى زمن بني العباس . والذين يزفون الشعر الى الأسماع عربيا في زي عصري ، أو يحذون حذو الافرنج في الابتكار والاحسان في الوصف والابتعاد عن المبالغات ، ويفرغون معانيهم في قالب عربي بحت ، ويحررون الشعر الغربي حتى يجعلوه موافقا للشعور العربي ، ويحافظون على الأسلوب العربي بتمامه ، هم الذين يرجى على أيديهم نهضة الشعر نهضة حقيقية . » ويقول معبرا عن رأيه في الشعراء المعاصرين : « ان الشعراء أقسام ثلاثة : قسم شغف بالتنسيق اللفظي والاستعارات والمجازات ، وحب العبارات الفخمة والألفاظ الجزلة شأن القدماء . وقسم تفتحت عينه على الشعر الغربي فأراد أن ينظم على منواله . فكان كالأعرج الذي لا يسير حتى يتأرجح . وقسم ثالث يفهم كل ما حوله . ويترجم عن فهمه بعبارات سلسة سهلة لا تكلف فيها ولا تصنع » . وهؤلاء هم مناط الأمل في الرقي بالشعر في رأيه ، لأن الشعر عنده ليس لفظا رنانا فحسب . بل هو ما استولى على الشعور واسترعى الحس . ووصل الى القلب . فهو عنده شعور صرف ليس للفظ فيه من فضل إلا أنه أداة التعبير . انه في رأيه شعور يتجدد في كل زمان ومكان . وهو احساس يتسرب الى النفس تبعا للعوامل المختلفة التي تؤثر فيها . ويتدرج مع الحياة ويسايرها كما جاء في قوله :

واني على شيخوختي وزماتتي
أريد بشعري في الحياة التجددا
ولا خير في شعر مضى اليوم عهده
وفي شاعر ان قال قال مقلدا

والرائد الثاني لحركة التجديد في الشعر هو الشاعر خليل مطران الذي يصور رأيه في التجديد في الشعر العربي فيقول : « اريد التجديد يتمثل في التفكير بمعناه البعيد الغور الذي هو منبع الابتكار ، ليحل ذلك التفكير تدريجيا محل الخيال المشتت الذاهب في تشتيت الذهن ضروب المذاهب . . الخيال الذي لا يصد غالبا عن الحقيقة التي هي مصدر كل جمال ثابت . اريده في لغتنا التي أتمنى أن تصبح صالحة لضروب التعبير السليم قاطبة ، وأن أستطيع تصوير كل دقيق وجليل من معاني النفس بها ، مع الخروج عن الابتذال . ومجاراة أسمى ما تضعه قرائح أعاظم الأدباء من الأجانب . . . ان هناك مجالا للعقل المبتكر ، والفكر المولد ، والتصوير البارع » .

والرائد الثالث هو الدكتور أحمد زكي أبو شادي ، الذي تتلمذ في الشعر والنقد على مطران ، فنظم الشعر القصصي ، وكان أول من نظم الشعر التمثيلي في اللغة العربية ، ولقح الشعر بأخيلة الشعراء الأوروبيين ومعانيهم ، ودعا الى التجديد في الشعر دعوة جريئة . وكان أكثر شعرائنا فهما لاصول الأدب والشعر والنقد ، كما كان أعظمهم دعوة الى التجديد . وقد أنشأ جمعية « أبولو » الشعرية ، ومجلتها الذائعة « أبولو » . وأعلن كراهيته للتقليد والجمود في الشعر ولم يسأم طول حياته من الدعوة الى الاصالة والفطرة الشعرية والعاطفة الصادقة والابتعاد عن الافتعال والتكلف والتصنع ، والى الوحدة التعبيرية ، واطلاق النفس على سجيتها ، والتناول الفني السليم للفكرة والموضوع والمعنى . وكلما طابق الشعر هذه المبادىء ، فهو في رأيه شعر مقبول جميل كيفما كان قائله والعصر الذي يعيش فيه ، ولم يمل من الدعوة في شعره ونثره الى الحكم على العمل الفني والقصيدة الشعرية قبل الحكم على الشاعر نفسه . ولذلك كان أبعد الناس عن التعصب لمذهب أو مدرسة أو عصر أو جماعة دون غيرها ، متى كانت للأخرى مؤهلات فنية جديرة بالتقدير ، كما نرى في طرائف الشعر الجاهلي . ورسالة مدرسة « أبولو » احياء روح الشعر الأصيل وتهذيبه مما علق به من أوهام التقليد والصنعة والابتذال وخدمة فن الشعر الذي كان وما يزال أهم الفنون العربية .

ويمتاز شعر أبي شادي بمعانيه المبتكرة ، وخياله الخصب ، وعنايته بالجو الفني للألفاظ ، أثرا لتعلمه الموسيقى والعزف والتصوير . كما يتسم في الغالب بتركيز الأسلوب والوحدة الفنية والانسجام الموسيقي ، وبالتحرر البياني وارسال النفس على سجيتها . ويتحاشى الضرورات الشعرية الا إذا استدعاها الجرس الموسيقي . كما يمتاز شعره بالتعمق الفكري والنفسي والفلسفي والانساني ، وبالتصوير القصصي والتمثيلي ، وأوصافه الجميلة للطبيعة ، وسوى ذلك من خصائصه الكثيرة . وقصيدته « المجهول » يعجب الشاعر في كهولته كيف نظمها ! وكان مطران معجبا بتلك القصيدة خاصة ، وكان يعدها من روائع الشعر . وممن تأثروا بموسيقاه ، بل وبأخيلته في عدد من قصائده أبو القاسم الشابي وعدد من شعرائنا المعاصرين .

ولقد كان مطران أستاذ أبي شادي الأول في الشعر وفي ثقافته ونقده ، وكان ديوانه «انداء الفجر » لأبي شادي مظهرا لهذا التأثر . ويبسط أبو شادي شعوره باستاذية مطران له في الشعر في انداء الفجر اذ يقول : فما نشوء الشعر المرسل ولا الشعر الحر ولا ما بلغناه من الحركة التجديدية للنظم ، ولا ما نتناوله من الموضوعات الانسانية والعالمية الا الرقي الطبيعي لرسالة مطران ، ولا يستطيع مطران أن ينكر ذلك ، بل هو يبارك باخلاص هذه الجهود . » ويقول أيضا : « ان من اولى تعاليم مطران التي تشجعت بها منذ حداثتي وجوب الاطلاع . وقد عكفت على الاطلاع الواسع منذ نشأتي حتى كنت أقلب الأغاني وغيرها من أمهات الأدب العربي في منتصف العقد الثاني من عمري تقليب المستهام بها . كما أن أولى تعاليمه ترك التصنع وارسال النفس على سجيتها ارسال المستعد المتمكن ، وقد علقت بهذه المبادىء وطبقتها وترعرعت في نفسي وفي أدبي ، مؤثرا أداء رسالة « الشعر بالشعر للشعر » كما يقول ، وهي التي يعتبرها مربية للمواهب الشعرية ، ضامنة لاستقلالها . فهو لا يعتمد إلا على القوى الشعرية في ذاتها لاستهواء المشاعر حتى يؤدي الشعر رسالته من اعزاز الخير ، وتقدير الجمال . » وأبو شادي مؤمن بأن مذهبه هو وحده التطور الطبيعي لمذهب مطران .

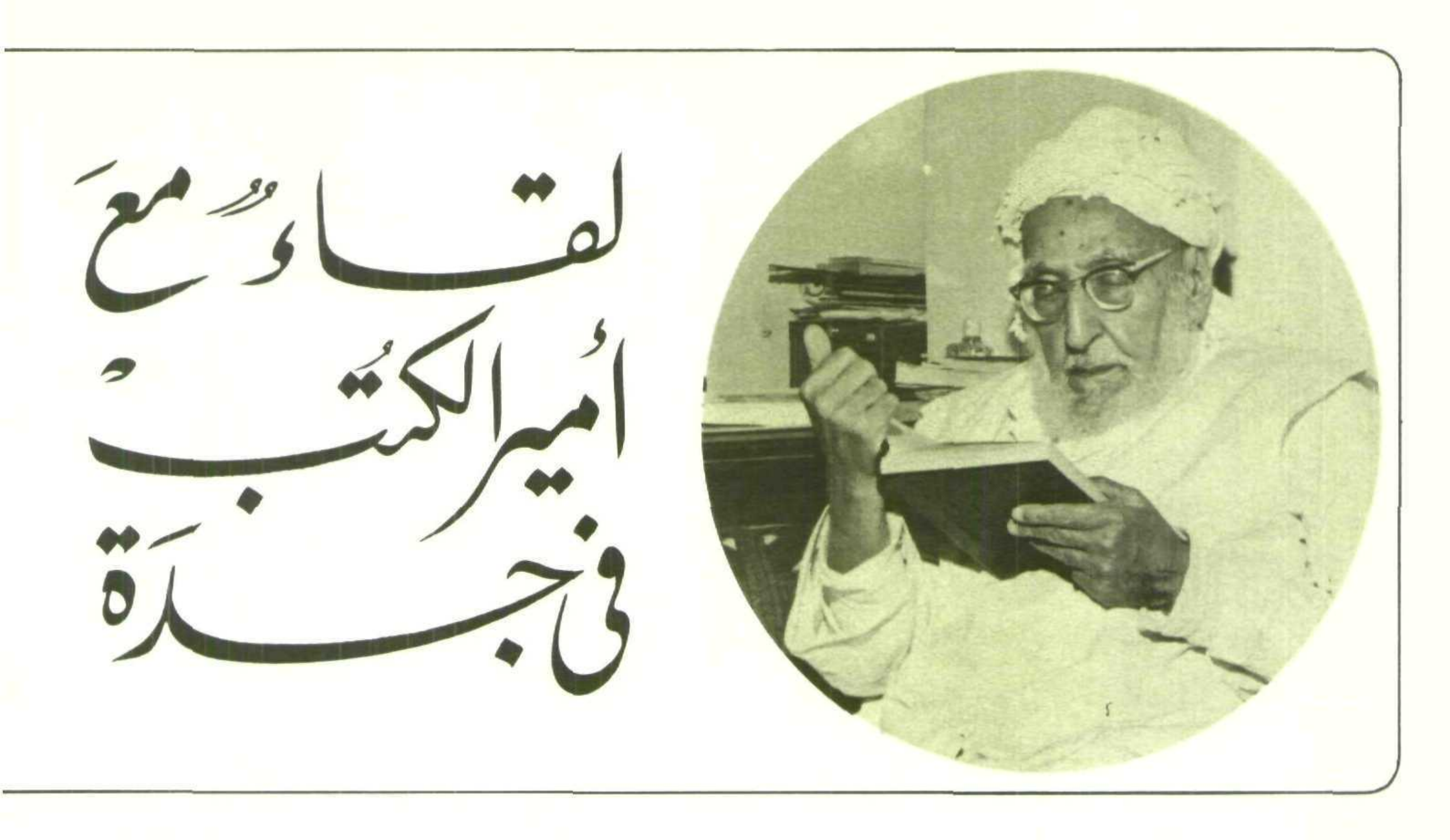
ومذهب مطران في الشعر يجمعه قوله في تصدير ديوان الخليل : « هذا شعر عصري وفخره أنه عصريّ ، وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر » . الى أن قال «على انني أصرح أن شعر هذه الطريقة ، هو شعر المستقبل لأنه شعر الحياة والحقيقة والخيال جميعا » .

والشعر العصري كما يقول أبو شادي هو قبل كل شيء لسان الحياة العصرية . والحياة العصرية ذات صلات شتى بالماضي ، وذات تطلع الى مستقبل ، فليس غريبا أن يأتي هذا الشعر مزيجا منوعا ، لا في الشرق العربي وحده ، بل في العالم كافة . وليس يطالب الشاعر بشيء سوى أن يكون صادق الشعور والتعبير ، فلا غبار على هذا التنويع الصادق ما دام نتيجة أحاسيس شتى ، هذا التنويع الذي تجده في العواطف والتأملات والأساليب . وقد أصبحت الصورة الغالبة على الشعر العصري في الغرب صورة الرومانتيكية الواقعية ، وهي التي سادت شعرنا المعاصر في أكثر اتجاهاته ومدارسه .



للشاعر احمد قنديل

أحب البحر من قلبي   فلي قلب به شاعر
فمن أمواجه حبي   من الساكن للهادر
وفي شطآنه دربي   به الأول كالآخر
تلاشى عنده الظل   فلا عال هنا أو دون
متى انفض بنا السامر
أحب البحر من يومي   فقد كنا له أهلا
لعبت بقربه طفلا   وعشت بقلبه كهلا
وقلت بشطه الشعرا   رقيق الحسن ما استشرى
فما عاد له حول   كما كان ولا طول
ولم يبق له أهل   بكون كله مجنون
له سلطانه الجائر
أحب البحر كالدنيا   ككون الناس مجهولا
ففي أعماقه يحيا   عميق السر مجهولا
أرى أصدافه الحيرى   يغطي وجهها الرمل
وتعمى الأعين السكرى   وقد طال بها الجهل
فلا تدري بما فيها   ففيها السر والأصل
وفيها اللؤلؤ المكنون   توارى دوننا سرا
فما يدري به العابر
أحب البحر انسانا   أصيل الجوهر الحر
فما أحلاه كالطفل   اذا ناغته اثباجه
صفت مرآته كالقلب   نامت فيه أمواجه
وما اعتاه كالمارد   ان ارغى وان ازبد
وقد ضل به العقل
فكان الثائر الغدار   لم يشف له غل
يظن بخيره شرا   ويحسب غيره غيرا
وينسى اننا كل
يمزقنا الهوى شذرا   وتحرقنا المنى قدرا
مجازا مله السائر
أحب البحر صنو الدهر   ما شاخ ولا اعتلا
يضم بقلبه الأحياء   تستذري به الفلا
مشت من فوقه الأقمار   والأنجم والشمس
وتلعب حوله الأرياح   ان رقت فقد تقسو
فما بالى بها يوما   ولا هانت به النفس
فلن يأسن ان غابت   ولن يأسى كما نأسو
فلن تحرقه النار   ولن يلحقه العار
كمن شطت به الدار
غريبا عاشها مثلي   يطوف بشطها الدائر
ويندب حظه العاثر   ويروي شعره الحائر
أحب البحر مهما دار   بي في شطه الخاطر
وماذا ينفع المهجور   ان ضاق به الهاجر
وهل يسمعني اللاحي   اذا قلت .. أنا الشاعر



لقاء مع أمير الكتب في جدة

في جدة القديمة وفي محلة اليمن ، يطالع الوافد بناء قديم مكون من اربعة أدوار ، ذلك البناء هو دار آل نصيف التي بناها عمر افندي نصيف عام ١٢٩٥ هـ . والتي آلت حاليا الى حفيده العلامة فضيلة الشيخ محمد حسين نصيف . وهذه الدار ، منذ عهد بانيها ، منتدى علية القوم ومحط رحالهم . وفيها نزل المغفور له الملك عبد العزيز عندما وصل جدة ابان توحيده اجزاء المملكة العربية السعودية . وامام هذه الدار شجرة وحيدة يقال أنها أول شجرة زرعت في جدة .

ولهذه الشجرة قصة طريفة ، وهي أنه منذ أربعين سنة ونيف ، اهدى رئيس بلدية جدة الى الشيخ محمد نصيف غرسة صغيرة لشجرة أتى بها من مكة المكرمة ، وأصلها من الهند ، وطلب اليه أن يزرعها أمام باب الدار لتبقى ذكرى أخوة وصداقة . فقال له الشيخ : من أين لي بالماء الذي يسقيها ، وأنت تعلم أننا ندفع ثمن جرة الماء ريالا كاملا ، فهل هذه ضريبة تفرضها علي ؟ فأجابه الضيف : لا بأس ، اغرسها واسقها من ماء الوضوء ، وهكذا كان ، وغرست الشجرة . ومرت الأيام ، وقدم الى جدة زائر أجنبي زار مختلف أنحاء جدة ، ولا سيما بيت فضيلة الشيخ محمد . وبعد أن غادر ، أراد أن يكتب الى الشيخ محمد ، ولكنه نسي قبل مغادرته أن يأخذ العنوان منه ، فكتب الرسالة وجعل على الغلاف العنوان التالي : «ليد فضيلة الشيخ محمد نصيف ، الذي أمام بيته شجرة» ووصلت الرسالة .

قصدت الدار ، وولجت بابها الذي كان مشرعا ، لأجد نفسي أمام رجل حسن الهيئة ، عليه سيماء الوقار والهيبة ، أبيض الشعر ، مديد القامة ، عريض المنكبين ، عارك السنين وعاركته ، تنظر الى عينيه فتقرأ فيهما معاني النجابة ، والذكاء ، والخبرة ، وسعة الاطلاع .

كان جالسا الى مكتبه وأمامه كوب من الشاي وبعض الكتب . تعرفت اليه ، واستأذنته في تعريف القراء به وبمكتبته ، فرحب بي وأخبرني أن المكتبة التي أنا بصددها هي المكان الذي نحن فيه . وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث . وعبثا حاولت أن أستدرجه الكلام عن نفسه ، فهو يكره كلمة « أنا » ، ونادرا ما يذكرها خلال محادثاته . وهكذا بعد محاولات عديدة وجهت كلامي نحو مكتبته ، التي هي والحق يقال قيمة ثمينة . ولعل القارىء يود أن يطلع على حديث فضيلة الشيخ محمد الممتع ، فسأحاول قدر المستطاع أن أسترجع منه ما أسعفت الذاكرة :

س : فضيلة الشيخ ، أين ولدتم ومتى ؟

ج – ولدت في جدة في البيت الذي نحن فيه وذلك في عام ١٣٠٠ هـ .

س : ذلك يعني أنكم عاصرتم أحداث المملكة منذ تأسيسها حتى يومنا هذا ؟

ج – تستطيع القول أنني عايشت امارة الشريف عون الرفيق ، فامارة الشريف علي باشا ، فامارة الحسين بن علي ، ثم عاصرت حروب المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود وتوحيده لمختلف أقطار الجزيزة العربية ، وتأسيسه المملكة العربية السعودية ، ثم عصور أنجاله من بعده ، والتطورات التي تمت على أيديهم حتى يومنا هذا .

س : ان عائلة آل نصيف عائلة عريقة ، فهل لكم أن تخبرونا شيئا عنها ؟

ج – كان جدي لأبي ، باني هذه الدار ، من أعيان البلدة ورجالها المعدودين ، وكان أبوه عبد الله نصيف ، من ذوي المناصب الرفيعة ومن حملة الأوسمة العالية . وكان آل نصيف أمراء لمكة ، ووكلا ... كة .

س : فضيلة الشيخ ، أخبرتموني ... ن آل نصيف ، ولكنكم استثنيتم نفسكم من الموضوع ، فهم لكم في اخبارنا عن سيرتكم الخاصة والمناصب التي شغلتموها ؟

وهنا تهرب من الموضوع قائلا بتواضع «دعك من هذا الموضوع ، فنحن أقل الناس ، ولا سيرة لنا لتذكر» .

س : ولكن الناس يرون فيكم عكس ما ترون ، فكيف تعللون ذلك ؟

ج – معارفنا لهم فينا رأيان ، الأصدقاء يثنون علينا ولنا مكانتنا عندهم ، والحساد يقولون ما شاءوا وشاء لهم الهوى .

س : هل لكم ، اذن ، في اخبارنا عن مراحل دراستكم الأولى ، وكيف نمت لديكم هواية المطالعة ؟

ج – كنت أتردد على المساجد حيث تعلمت قراءة القرآن والخط والحساب . وأول أستاذ قرأت عليه هو الشيخ أحمد النجار عالم الطائف آنذاك ، وذلك أثناء فترة اصطيافنا هناك ، بعدئذ تلقيت مزيدا من العلم والمعرفة في جدة ، على يد السيد محمد حامد ، فالشيخ أحمد

موسوعة ناطقة ، وشريط حافل بأحداث الجزيرة العربية منذ امارة الشريف عون الرفيق حتى عصرنا الحالي . داره من البيوتات العريقة المعدودة في جدة ومكتبته مقصد الباحثين وحملة الاقـلام . . ذلك هو الأديب العلامة فضيلة الشيخ محمد حسين نصيف .

دار آل نصيف العامرة وقد بدت أمامها الشجرة التي كانت بالأمس وحيدة في جدة .

الزهرة . وهكذا أصبحت لدي هواية حب المعرفة والاطلاع ، فأصبحت كلما سمعت بعالم جديد يدرس في مسجد ، توجهت الى درسه يحدوني الشوق والرغبة ، حتى نمت ملكتي الأدبية ، فأخذت أتسقط أخبار الكتب القيمة ، وأحاول الاستحصال عليها والاستفادة منهـا .

س : منذ متى بدأتم جمع الكتب ، وكيف كان ذلك ؟

ج – بدأت جمع الكتب ، على ما أذكر ، منذ عام ١٣٢٣هـ ، فكنت اذا حضرت مجلس عالم من العلماء ، ورأيته يطالع في كتاب معين ، عمدت الى شراء نسخة منه ، ولو كلفني الأمر باهظ الثمن ، حتى تجمع لي مجموعة منها لا بأس بها ، فنظمتها وجعلتها نواة للمكتبة التي تراها حاليا .

س : كم يبلغ عدد الكتب التي تحويها المكتبة ؟ وفيم تبحث ؟

ج – تضم المكتبة خمسة آلاف مجلد ونيف ، وهي عبارة عن مجموعات مختلفة من كتب التفسير والحديث ، وعلوم التفسير ، وعلوم الحديث والفقه ، والنحو ، واللغة ، والبلاغة ، والتاريخ المطبوع القديم والحديث والأدب .

س : ما هو أعـز كتاب لديكم ؟

ج – القرآن الكريـم .

س : أي مؤلفات الكتاب الحديثة تحبون قراءتها ؟

ج – مؤلفات محمد كرد علي ، والرافعي ، والسيد محمد قطب .

س : هل لديكم مخطوطات قديمة ؟ وكم يبلغ عـددهـا ؟

ج – لدي مجموعة منها ، تبلغ على وجه التقريب ٣٠ مخطوطة .

س : مـا هي أقدم مخطوطة لديكم ، وكم يبلغ عمرهـا ؟

ج – أقدم مخطوطة لدي هي «تيسير الوصول في الحديث» لابن الديبع الشافعي وعمرها حوالي ٣١٠ سنوات .

س : هل تسمحون باعارة الكتب خارج الدار ؟

ج – لا .

س : لمـاذا ؟

ج : كنت في الماضي أسمح باعارة الكتب الى الخارج ، ولكن بعد مدة وجدتها تفقد الواحد تلو الآخر ، وجميع كتبي عزيزة علي ، لا سيما النادرة منها . لذلك لم أعد أسمـح باعارتها الى الخارج ، اذ يوجد في المكتبة قاعة مطالعة لمن يود الاستفادة والاستزادة من العلم والمعرفة .

س : ما هو أثمن كتاب لديكم ؟ وكم يبلغ ثمنة ؟

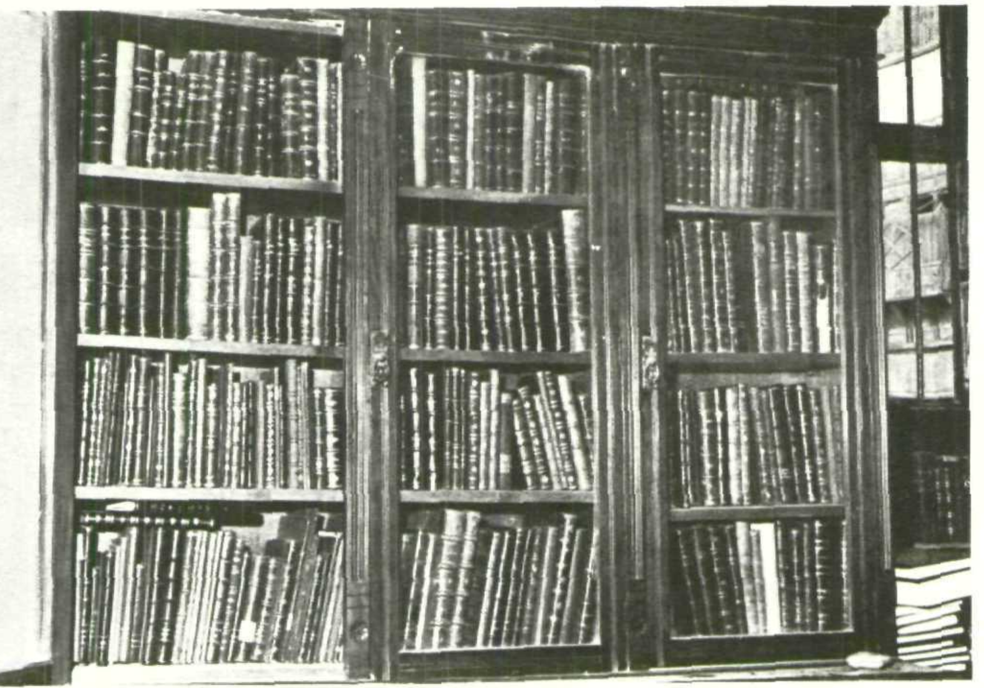
ج – أثمن كتاب لدي هو كتاب «المعجم المفهرس لأحاديث الصحاح» الذي اشتريته حديثا ، والذي وصلتني أربعة أجزاء منه ، والجـزء الخامس في طريقه الي ، وهو يطبع فـي هولندا ، وثمن النسخة الكاملة منه ٢٥٠٠ ريال سعودي .

س : فضيلة الشيخ ، هل لكم أن تعطونا فكرة عن بعض الكتب التي تحويها مكتبتكم ؟

ج – تحوي على سبيل المثال لا الحصر مجلدات المعاجم ، وحوالي مائتي كتاب من كتب الفقه ، ومجموعة من كتب الحديث ، كما تحوي المكتبة أيضا من كتب اللغة «تـاج العروس» ١٠ مجلدات ، و «لسان العرب» ١٥ مجلدا ، و «دائرة المعارف» ١١ مجلدا ، فضلا عن مجلدات لمختلف المجلات العلمية والأدبية القديمة المشهورة ، مثل المقتطف ، والهلال ، والمنـار ، ومجلة المجمع العلمي العربي في دمشق .

س : سمعت أنكم طبعتم بعض الكتب القيمة على نفقتكم الخاصة ، فما هي هذه الكتب ؟ ومـا عددهـا ؟

ج – طبعت بعض الكتب على نفقتي الخاصة ، والبعض الآخر بالإشتراك مع المحسنين الذين لا يودون ذكر أسمائهم ، وجميع الكتب التي عنيت بطبعها تتعلق بالدين والأدب مثل «غاية الأماني في الرد على يوسف النبهاني» ، و «منهاج السنة الأصلي» لشيخ الإسلام ابن تيمية ، و «ايقاظ الوسنان في وسوسة الشيخ دحلان» وغيرها . . ويبلغ عدد الكتب التي نشرت حوالي عشرة . وقد وزعت جميعها مجانا على المكتبات العامة ، والأدباء والعلماء



تزخر المكتبة بآلاف المجلدات القيمة الثمينة .

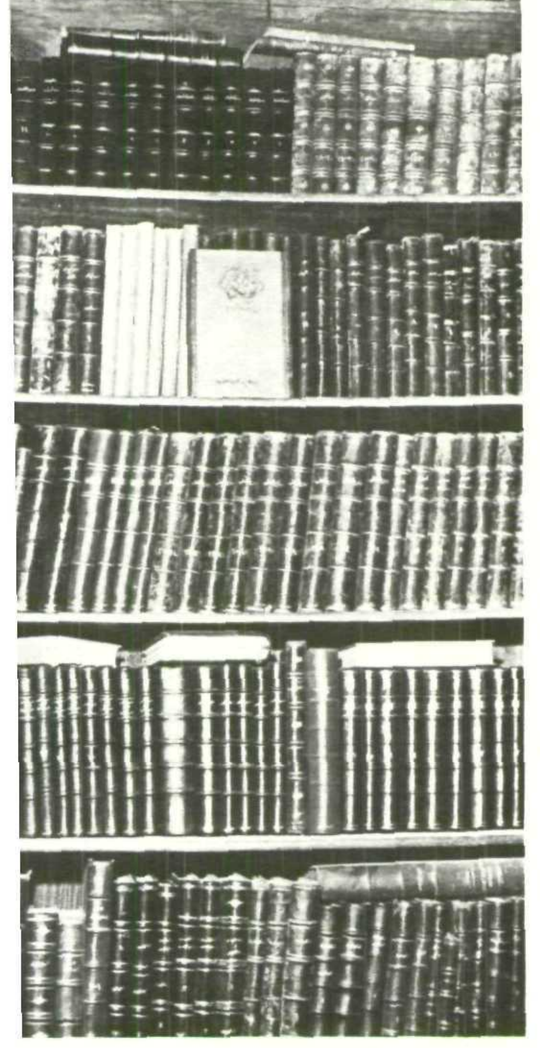
ولم أبتغ من وراء ذلك سوى نشر المعرفة وعمل الخـير .

س : وماذا عن مؤلفاتكم ؟

ج – ليست لي مؤلفات ، وانما لي مقالات متفرقة في الصحف ، وهي أيضا قليلة لا تذكر .

والى هنا كنت قد أخذت من وقت الشيخ محمد الكثير ، فودعته وأنا مكبر له ، مجل لقدره ، معجب بعدم اطنابه واعتداده بنفسه . ولكن كنت أشعر أن هناك حلقة مفقودة لا بد من الوصول اليها وهي سيرته الشخصية فرجعت الى معارفه أسألهم عنه ، فأجمع رأيهم فيه أنه عالم ضليع واسع الإطلاع ، يعتبر بين طبقة الأدباء مرجع ثقة في الأصول الدينية والفقهية والتاريخية ، وهو علاوة على ذلك شاهد عيان لأحداث المملكة منذ تأسيسها حتى يومنا هذا . وحسبنا لتقدير مكانته الأدبية أن نسمع رأي الأديب العلامة أمين الريحاني فيه ، في كتابه «ملوك العرب» اذ يقول : «الشيخ محمد نصيف ، أديب جدة الأكبر وأمير الكتب فيها . فان عنده مكتبة حافلة بالقديم والحديث من التآليف . لا يقتنيها للعرض فقط بل لينتفع وينفع بها . يجيء الأدباء الى دار الشيخ محمد كأنها دار الكتب العمومية ، فيعيرهم مـا يشاؤون منها ويشتري ما يعرضون من مخطوط أو مطبوع . وهو دائرة معارف ناطقة يجيب عـلى السؤالات التي توجه اليه ، ويهدي الى مصادر الثقة في العلوم الأدبية والتاريخية والفقهية» .





تصوير : عبد اللطيف يوسف

الصلة الشخصية في كتابة التراجم والسير

بقلم الاستاذ انور الجندي

تطور فن كتابة التراجم والسير ، وقطع مرحلة بعد مرحلة في سبيل الوصول الى مفهوم «الكشف عن أعماق النفس ، وابراز خفايا الطبائع ، والتعرف الى كوامنها» .

وكانت كتابة التراجم والسير تحاول أن تتلمس سبيلها من نفس الطريق الذي تسلكه كتابة التاريخ ، وكانت تولي الاهتمام بابراز جوانب البطولة واضفاء طابع العظمة على الشخصية الانسانية مع الاغضاء عن جوانب الضعف أو التفاصيل الصغيرة أو الزوايا الخاصة .

غير أن تطور هذا الفن وبروز عدد من الكتاب النابهين في هذا المجال ، واتسام الدراسات في العصر الحديث بطابع العلم ، وظهور مناهج التحليل النفسي ، والمذاهب المتعددة كل هذا قد طور هذا الفن وأخرجه من دائرة التاريخ ، ورسم له مقومات خالصة ، أبرزها « درس العواطف وتحليل الدوافع ، والسبح مع نبضات القلب وتصوير الأزمات النفسية والعرض لفلتات الذهن ، والعناية بالتفاصيل والدقائق». وهذه كلها تعتمد بالدرجة الأولى على المشاهدة والصلة الشخصية ثم على الوثائق والخطابات والرسائل والمذكرات ومن هنا كانت المعرفة الشخصية والمعاشرة والصداقات أكبر عون لكتاب التراجم ، ومصدرا مهما من مصادر التراجم والسير .

ولذلك فقد أولى الباحثون أهمية كبرى للكتابات التي كتبها باحثون ودارسون ، في مجال التراجم والسير ، عن أعلام ارتبطوا بهم بالصلات الشخصية ، وعدوها في درجة الشهادة ، وهي أكبر من درجة الرواية والعنعنة .

ويمكن للصلة الشخصية أن تتمثل في ثلاث حالات : صلة الصداقة والزمالة . وصلة التلمذة والولاء ، وصلة العمل مع المترجم على نحو السكرتيرين أو التابعين .

وفي أدبنا العربي المعاصر كتابات متعددة في هذه الحالات جميعا ، من أبرزها ما كتبه ميخائيل نعيمة عن جبران ، وشكيب أرسلان عن شوقي ورشيد رضا ، وما كتبه محمد عبده عن جمال الدين الأفغاني ، وما كتبه عبد الرحمن الرافعي عن مصطفى كامل ومحمد فريد ، وما كتبه العقاد عن سعد زغلول ، وحسين شوقي عن والده «شوقي» ، و «كرد علي» عن شيخه طاهر الجزائري ، وصالح جودت عن طلعت حرب ، وزكي مبارك عن طه حسين ، وما كتبه طه حسين عن هيكل ، والعقاد عن المازني ، وما كتبه المازني عن عبد الرحمن شكري والعقاد ، وما كتبه العقاد عن رجال عرفهم كفريد وجدي وعبد العزيز جاويش وغيرهم ، وما كتبه محمد سعيد العريان عن مصطفى صادق الرافعي ، وما كتبه عبد الحليم الجندي عن الهلباوي ، وكثير مما لا يحصى وما تضمه بطون الصحف ويحتاج الى دراسة واسعة .

ومن الظواهر التي تستحق الوقوف عندها أن هناك كتابا لم يقنعوا بوضع كتاب واحد عن علم من الأعلام ، بل عقدوا عليه أكثر من كتاب واحد كما فعل أبو القاسم محمد كرو مع الشاعر أبي القاسم الشابي .

وتختلف هذه الكتابات باختلاف نوع الصلة الشخصية وواقعها . ويغلب على صلة التلمذة دائما طابع الولاء والحب والدفاع والاعجاب الكامل بكل تصرفات ذلك الأستاذ أو الرائد مع اخفاء الدقائق التي يظن أنها قد تخدش الكرامة . وقلما ترتفع هذه الكتابات الى التعرف بوجوه النقص أو الضعف في الشخصية . فإذا أشير اليه كانت الاشارة يسيرة سريعة مع الاعتذار والتبرير .

أما في مجال الصداقة بين الكاتب والمترجم له ، فان الأمر يختلف . ذلك أن الكاتب قد يستطيع أحيانا أن يواجه صاحبه في شيء من القدرة على كشف أعماق النفس دون خشية ، ويرجع ذلك في الأغلب الى مزاج الكاتب ومفاهيمه . فنحن نرى ميخائيل نعيمة في كتابه عن رفيق حياته «جبران خليل جبران» جريئا غاية الجرأة في الكشف عن طبيعة الرجل ، والتغلغل في أعماق نفسه ، بل وتعريته ، ايمانا منه بأن العظمة ليست هي الخير وحده ، ولكنها الانسان بخيره وشره ، وجده وهزله ، وتساميه ومباذله . ولعله في هذا يتمثل بمنهج كاتب التراجم الأشهر «اميل لدفيج» الذي يقيم مذهبه على أن «مهمة المترجم الكبرى هي أن يكشف الانسان العادي المختبىء في هيكل العظيم ، وأن يبين الملامح الانسانية البسيطة مختفية وسط مظاهر العبقرية الآسرة ، مهمته أن يمكننا من أن نرى الانسان نفسه ، وغاية المترجم أن ينشىء انسانا لا أن يصوغ تمثالا من النحاس » .

ومن هنا فقد استطاع ميخائيل نعيمة أن يكتب عن حياة جبران الخاصة المختفية وراء الملابس الزاهية ، أن يكتب عن «الانسان» في جبران . ولقد وجد «نعيمة» من ينقد مذهبه ويكره منه ما قدمه . والحق أن ما فعله نعيمة كان جديدا حقا على مذاهب كتابات الترجمة والسير في الأدب العربي المعاصر الذي عرف نوعين من الكتابة لا ثالث لهما ، الأول ، هو التعاطف والصداقة ، والثاني ، هو الخصومة . فأغلب كتابات الصلة الشخصية تتقاسم هذين المذهبين . فزكي مبارك في خصومته مع طه حسين كان يورد من وقائع صلته

يوم كان يعمل سكرتيرا له ما يستدل به على وجهة نظره ، والمازني في كتابته عن عبد الرحمن شكري ابان خصومته معه ، كان يتناول (شكري) من خلال الصلة الشخصية ليحاول أن يصوره بصورة الرجل غير السوي . فلما تحول المازني الى الرضى حاول أن يصور شكري على نحو من العبقرية والتبريز ، ولا شك في أن الاعجاب يضع غشاء يحول دون رؤية الحقيقة ، وكذلك الخصومة فهي تحجب الصورة الصحيحة . ومثال ذلك موقف العقاد من شخصيتين التقى بهما في مطالع حياته هما محمد عبده ومصطفى كامل . فالأول كان لقاؤه بالعقاد سمحا ، وقال على البديهة كلمة راقت للعقاد حيث توقع له بأن يكون كاتب العصر . أما الثاني فقد أعرق العقاد في جدل معه حول تفسير بيت من الشعر واختلفا . فلما بلغ العقاد القاهرة وشارك في الحياة الفكرية كان هـذا اللقاء فيصل الرأي خلال حياته كلها بين اتجاه محمد عبده واتجاه مصطفى كامل .

ومع ذلك كله ، فان الصلة الشخصية قد استطاعت أن تقدم لفن التراجم والسير اضافات مهمة ونافعة . وأمامي عدة من هذه النماذج التي تكشف عن أهمية الصلة الشخصية في تحقيق هدف كتابة التراجم على النحو الذي تطور اليه ، وهو «الكشف عن الانسان العادي المختبىء في هيكل العظيم» . فالشاعر أحمد شوقي الذي بلغ الذروة في مكانته الشعرية ، والذي كان يرى في المجالس صامتا لا يتكلم إلا قليلا ، والذي كان يزور هذا النادي أو ذاك ثم ينسحب منه فلا يجرؤ أحد على أن يناقشه ، والذي قلما كان يتحدث عن شعره أو يفسره ، هذا الانسان الذي عرف بذلك الطابع المهيب في كتابات كل من كتبوا عنه ، تتكشف صورته في دراسة ابنه «حسين شوقي» عن طابع آخر غاية في المرح والطرافة والاشراق ، هو طابع الانسان بدعابته ودهائه .

يقول حسين شوقي : « ان أبي كان بوهيمي النزعة الى حد كبير ، فكثير من تصرفاته تدل على ذلك ، ألم يكن بوهيميا حين كان يعاونني على الهروب من المدرسة في المطرية . ركبنا «الأوتوبيس» ذات يوم ، هو وأنا ، فصعد رجل عملاق بادي الترف والثراء ، يعلق سلسلة ذهبية على صدره ، ثم ما لبث أن استسلم للنوم في ركن من العربة وراح يغط غطيطا يرهق الأعصاب وصعد نشال في مقتبل العمر ، بهي الطلعة ، وهم بأن يخطف السلسلة «الذهبية» ولكنه أدرك أن أبي يلمحه، فأشار اليه اشارة برأسه مؤداها : هل آخذها ؟ فأجابه أبي برأسه «خذها» ، فنشلها الشاب ونزل بعدما حيا أبي برفع قبعته له ، ولم يكد ينزل حتى التفت الى أبي وقلت : هل يصح أن تترك النشال يأخذ السلسلة من الرجل وهو نائم ؟ وأجاب أبي : شيء عجيب يا بني ، لو كانت لك ، فلمن كنت أتعطي السلسلة الذهبية » ؟ ويروي حسين شوقي ن العلامة التونسي عبد العزيز الثعالبي دعي الى دارهم ليتناول الغداء ، وبينما كان يتحدث معه «شوقي» علم أنه يجيد صناعة «الكسكسي» ، فاصطحبه الى «المطبخ» ووقف معه حتى يصنع لهم طبقا ، وأدى ذلك الى تأخر تناول طعام الغداء حتى الساعة الرابعـة .

ومن الحق أن هذه الصورة ما كان يمكن أن تعرف عن شوقي الا عن طريق «الصلة الشخصية» ، وهي بعد تبدو بعيدة الأثر في الكشف عن جوهر الانسان في شوقي الشاعر المهـول .

ومن خلال الصورة التي يرسمها محمد سعيد العريان عن «مصطفى صادق الرافعي» يبدو أثر الصلة الشخصية في فهم «طبيعة» الكاتب التي قلما يطلع عليها أحدا في أدق فترات عمله الأدبي . يقول : « كانت أول مرة يملي الرافعي علي فيها مقالاته ، فكانت فرصة لي أن أصحب فيها الرافعي في سبحاته الفكرية ، وكانت فرصة سعيدة له أن وجد يدا غير يده تحمل له القلم حين يكتب لنفسه ويخلو بفكره ، وما تعود قبلها أن يكتب وفي مجلسه انسان . وان أثقل شيء عليه ، أن يكتب بيده ، ولكن أثقل من ذلك عليه أن يعرف أن عينا تلاحظه وهو يكتب ، فما زال يكتب لنفسه منذ بدأ متبرما بهذه المهمة ضيق الصدر بما يبذل في الكتابة من جهد ، وان خطه لأردأ خط قرأت في العربية حين اصطفاني لهذا الواجب . فلزمته ثلاث سنين ، لا يهم بكتابة مقال إلا دعاني ليمليه علي ... وحين جلس يملي في أول الليل كانت معه قصاصات في يده لا تزيد احداها عن قدر الكف ، فما فرغ من الاملاء حتى أذن الفجر ، وكانت ليلة تحملت فيها من المشقة ما لم أتحمله في ليلة غيرها . وكانت دائما في جيبه وريقات يكتب في احداها عنوان ما يخط من موضوعات ويتخذ الوريقات الباقية مذكرة يقيد فيها الخواطر التي تتفق له ، فاذا جمع له من هذه الخواطر قدر كاف ، أخذ في ترتيبها معنى الى معنى وجملة الى جملة ورأيا الى رأي ، ثم يعود الى هذه الخواطر المرتبة فينظر فيها ويزاوج بينها ، ولا يزال هكذا يزاوج ويستولد حتى تستوي له المقالة فكرة تامة . فإذا أخذ للموضوع أهبته ، طوى وريقاته ساعة ، ليرجع الى كتاب أي كتاب من كتب العربية، يقرأ فيه صفحات كما يتفق له . فإذا تهيأ للكتابة – وكان الرافعي على ما في أذنيه – يزعجه أن يمر النسيم على صفحة خده ، فكان يلذ لي والجو حار أن أفتح باب الشرفة ، فلا تكاد تهب نسمة بجانبه حتى يكف ، ولم أكن أقاطعه حين يملي علي إلا حين أشعر أنه يهم بالانتقال في الموضوع من فصل الى فصل ، فألقي اليه ما أريد أن أقوله مكتوبا في ورقة لأحاوره في عبارة أو لأستوضحه معنى ، ثم يعود الى املائه وأنا أكتب صامتا ، وهو لا يرفع عينيه إلي ، كأنما يتحدث من وراء ستار الى سامع غير منظور . ولم يكن يملي علي مسترسلا ، ولم يكن يملي وانيا متمهلا ، ولم يكن في كل أحواله سواء . فحينا يطاوله القول وحينا يتأبى عليه ، فيسكت وهو يدق على المكتب بحديدة في يده ، ويغمغم بصوت لا يبين ، فإذا طال به الوقوف ، تناول كتابا ، أي كتاب على مكتبه ، ففتحه ، فيقرأ كلمة أو سطرا أو جملة ثم يطوي الكتاب ويعود الى الاملاء ..»

وهذه الصورة تعطي ، ولا شك ، جانبا خفيا من حياة الكاتب لا يتيسر الحصول عليه – لإغناء الترجمة والسيرة – إلا بالصلة الشخصية . ومن هنا كانت أهمية الآثار التي كتبها ذوو الصلة بالاعلام والعظماء والمشاهير ، من تلاميذهم وتابعيهم .

وفي مجال العتاب والخصومة تبدو صور أخرى ، وأمامي ثلاثة نماذج ، أحدها بين زكي مبارك وطه حسين ، والثاني بين المازني وعبد الرحمن شكري ، والثالث بين طه وهيكل . وهي في مجموعها تصدر عن حالة غضب أو عتاب ، ولا يمكن أن تعطي الحقيقة التي لا تصدر من النفس إلا في حالة السلامة من عوامل الغضب الشديد أو الاعجاب الشديد .

فالمازني حين وقع الخلاف بينه وبين شكري ساق عليه حملة عاصفة يقرؤها كل من يقرأ كتاب «الديوان» الذي أصدره المازني والعقاد سنة ١٩٢٢ . غير أن المازني لم يلبث عام ١٩٣١ أن كتب فصلين في جريدة «السياسة الأسبوعية» أشاد فيهما بشكري وعتب على المستشرق «جب» تجاهله اياه في دراسته للأدب الحديث وذكر فضله عليه ، ثم عاد المازني فكتب عن شكري في «البلاغ» عام ١٩٣٤ مثنيا مقدرا بمناسبة صدور كتاب « رواد الشعر الحديث » لمختار الوكيـل .

أما كتابة زكي مبارك عن طه حسين فقد صدرت ابان الخصومة بينهما ، ولذلك فهي ليست منصفة ، وقد عاد مبارك ، بعد أن زالت أسباب الخلاف ، الى ذكر طه حسين بالتقدير والفضـل .

وهناك رسالة أو رسالتان كتبهما الدكتور طه ابان خلافه مع الدكتور هيكل نشرتا في «الهلال» ثم في كتابه «مرآة الضمير الحديث» ، عرف عند نشرهما بدون عنوان موجه الى أحد ، أنهما موجهتان الى هيكل أثر خلاف وقع بين الكاتبين اللذين ارتبطا برباط الصداقة والفكر منذ عام ١٩١٢ في مجال «الجريدة» ثم «السفور» ثم «السياسة اليوميـة» و «الأسبوعية» وكانت لهما مساجلات ومحاورات حتى فرقتهما بعض الظروف اذ ذاك . غير أن حبل المودة قد عاد فامتد بين الكاتبين ، فلما توفي هيكل رثاه طه رثاء وفاء صادق .

واذا كان لنا أن نلقي نظرة عامة على كتابات الصلة الشخصية في التراجم والسير في أدبنا العربي ، فاننا نجدها قد عنيت كثيرا بالتواريخ العامة والأحداث الكبرى في حياة الأشخاص المترجم لهم ، خاصة ما اتصل منها بالفكر والمجتمع . أما الجوانب التي تتصل بالحياة الخاصة فقد كانت وما زالت قليلة جدا ، بينما تتمثل حاجة فن الترجمة في الاهتمام بالحادثات العابـرة والفكاهات والدقائق الصغيرة والتصرفات السريعة في مختلف المجالات ، ذلك أن هذه كلها لدى كتاب التراجم أدل في ايضاح شخصية العظيم وكشف جوهره من المواقف الكبرى البـارزة .



قياس الزمن

بقلم الدكتور نقولا شاهين

المزاولة ، أو الساعة الشمسية ، جهاز استعمله الانسان لقياس الزمن قبل اختراعه الساعة الآلية .

يعتبر الزمن أحد الأبعاد الأربعة في تفسير الحوادث الطبيعية وتعيينها ، مكملا أبعاد الفضاء الثلاثة العادية . وقد أدرك الانسان أهمية قياس الزمن في جميع أدوار حياته مما حدا به تدريجيا الى ابتكار أجهزة تمكنه من تعيين زمن الأحداث بدقة فائقة .

وأول ما لفت نظره كوحدة لقياس الزمن ، حركة القمر المنتظمة بالنسبة الى النجوم ، فاذا راقبنا القمر في ليلة ما عند التاسعة مثلا ، نجده بالقرب من احدى النجوم ، وفي الوقت نفسه من الليلة التالية نجده نحو ١٣ درجة شرقي النجم عينه . فهو يتقدم شرقا نحو ١٣ درجة كل يوم ، مواصلا سيره المستمر فيتم دورة كاملة يعود بعدها الى الموضع نفسه في مدة ٢٧ يوما وثلث اليوم تقريبا ، وهذه المدة تعرف « بالشهر النجمي » أما المدة بين وقت الهلال الفلكي والوقت الذي يليه فهي «الشهر القانوني» ومعدله نحو ٢٩ يوما و ١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة و ٣ ثواني . ويبلغ مقدار تغيره ١٣ ساعة . لذلك لا يوجد شهران قمريان قانونيان متساويان في المدة .

اتخذ الأقدمون هذه الظاهرة كأساس لقياس الزمن ، وجربوا أن يضبطوا شذوذها بحسابات دقيقة ، فكانت وما زالت وسيلة حسنة في تسجيل الأحداث الهامة ، كما هي الحال في التاريخ الهجري . ومع تقدم علم الفلك ، أصبحت الحاجة ماسة الى قياس الزمن بطريقة أدق من حركة القمر ، فالتفت الانسان الى دورة الشمس اليومية ، فاخترع المزولة أو الساعة الشمسية . وقد تفنن الانسان في صنعها واتقانها ، لتسدي اليه أجل الخدمات في قياس الزمن وتسجيل الوقائع . أما الأيام الشمسية الظاهرة فانها تختلف طولا ، فلا يوجد منها يومان متساويان . فيوم ٢٣ كانون الأول (ديسمبر) هو أطول من يوم ١٦ أيلول (سبتمبر) بمقدار ٥١ ثانية تقريبا . وبسبب هذا الاختلاف في طول اليوم الشمسي الظاهر يتعذر جدا صنع ساعة تحفظ الوقت بالضبط التـــام .

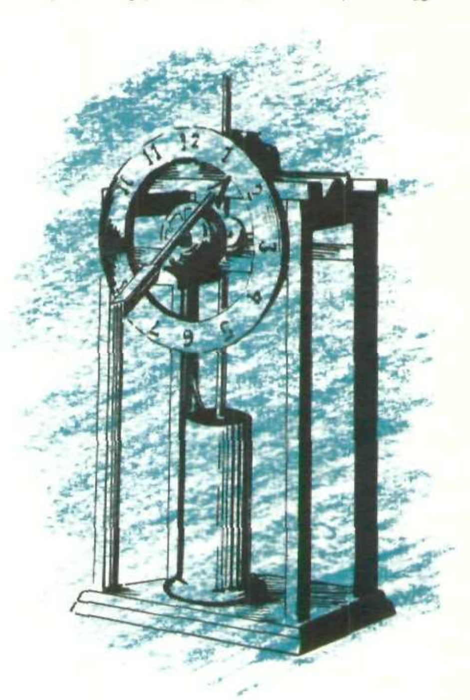
مرت قرون عديدة قبل أن يتوصل الانسان الى صـــنع أجهزة لقيـــاس الزمن كالمزولة الآنفة الذكر . ولـــا كان استخدام المزولة مقصورا على الاشارة الى الزمن نهارا ووقت الصحو فقط ، رأى الانسان أنـــه لا بد من صنع جهاز يستفاد منه ليلا وأثناء تلبد السماء بالغيوم . فاخـــترع الساعة المائية التي يعود الفضل في صنعها الى المصريين القدماء . ومن هـــذه الساعة نوع بسيط كان يستخدم في محاكم أثينا لتحديد وقت المتكلم ، وذلك بقياس كمية الماء التي تخرج من أنبوب متصل بالخزان . ثم جاءت الساعة الرملية لتملأ فراغا في تعيين الزمن أيضا .

أما ساعة الرقاص التي شاع استعمالها ، فقد رافقت المرقب منذ أن اخترعه «غليليو» ، وهو أول من درس عمل الرقاص ، وأشار الى امكان استخدامه كوسيلة لقياس الزمن . وكان اتقان هذا النوع من الساعات يسير جنبا الى جنب مع تقدم المرقب والزيادة في الدقة . لكن استخدام هذه الأجهزة لم يكن صالحا بالنسبة للبواخر كما هو معلوم ، فجاء اختراع الساعة البحرية في القرن الثامن عشر يسد هذا الفراغ ، وهذه الساعة دقيقة للغاية ويسهل نقلها من مكان الى آخر ، وتعتمد على نابض حلزوني . ولم يدخر الانسان وسيلة الا واستخدمها في اتقان الأجزاء التي تتألف منها الساعة ، فصارت ساعة الرقاص تضبط الوقت بحيث أصبح الخطأ ثانية واحدة في السنة ، وهذا هو أعلى حد في دقة الساعة الآلية . وهنا حول العلماء أنظارهم عن الوسائل الآلية ، ووجهوها شطر الدائرة الألكترونية ، وما يحدث من تردد أو تواتر في لوح بلوري يضاف اليهـــا .

يعود الفضل في هذا المضمار الى العالم كادي (W. G. Cady) عام ١٩٢١ ، عندما اكتشف ان اضافة لوح من بلورات الصوان الشفاف الى دائرة ألكترونية ، تعمل في ضبط التواتر في تلك الدائرة . أما الدائرة الألكترونية التي كانت تتألف من صمامات «ثرميونية» لوحدها ، فانها

كانت تحدث تواترا لا يركن اليه في الدقة . وباضافة اللوح البلوري ، تحسن عامل التواتر (١٠٠٠٠ مرة) ، فأصبحت الدائرة الألكترونية أفضل من ساعة الرقاص بعشرة أضعاف . أما المبدأ فهو واحد في الساعة الآلية وفي اللوح البلوري ، اذ أن الاثنين هما مصدر تواتر ميكانيكي أو آلي ، وكلاهما متصلان بمصدر للطاقة ، واستنفاد الطاقة بسبب الاحتكاك يعوض عنه بنبضات من التواتر نفسه .

وتميزت الساعة البلورية بحسنات عديدة بالنسبة الى ساعة الرقاص ، فالاهتزاز في اللوح البلوري لا يتأثر بالجاذبية ولا يختلف باختلافها . ولما كان الدور قصيرا للغاية صار بالامكان قياس فترات قصيرة من الزمن بالاضافة الى الفترات الطويلة . يضاف الى ذلك سهولة العمليات



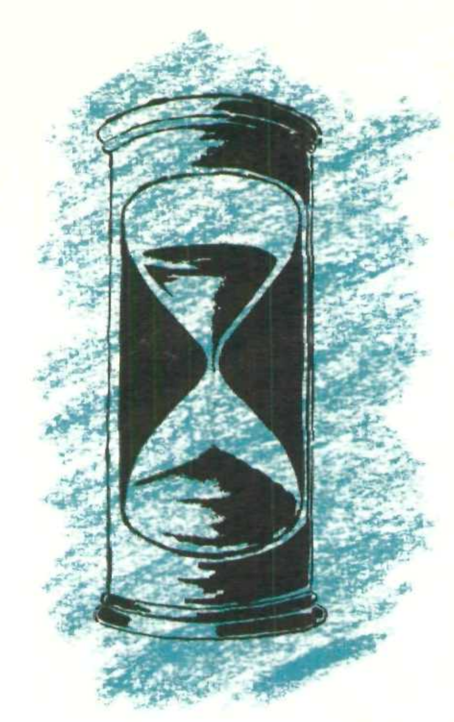
نموذج لساعة مائية قديمة يوجد حاليا في معهد «سمث سونيان» بولاية واشنطن .

الحسابية للتردد ، ويعود هذا الى كون العامل الموقت ألكترونيا وليس آليا . وعلاوة على ما تقدم يساعد هذا الجهاز على توليد نبضات كهربائية قوية ترسم اشارات الزمن ، أو تتحكم بأجهزة أخرى . وهناك حسنات أخرى لا مجال لذكرها جميعا .

أما التواتر الأكثر استعمالا فهو من مقدار مائة ألف دورة في الثانية ، وبالامكان احداث تواتر من مقدار عشرة آلاف دورة في الثانية ، وهذا يمكن أن يصبح مائة مليون دورة في الثانية عند الاقتضاء . وقد صار تطبيق المولد البلوري كساعة لقياس الزمن لأول مرة على يد مريسون (W. A. Marrison) في نيويورك عام ١٩٢٩ ، وعقب ذلك تطور محسوس في لندن وبرلين . وخلاصة القول أن ساعات من هذا النوع تضبط الوقت بخطأ مقداره ٣ أجزاء من مائة جزء من الثانية في الشهر . ويوجد اليوم نحو ١٠٠ ساعة بلورية في عشرين مؤسسة عالمية لضبط الوقت . وتبث مراكز الاذاعة اشارة الوقت المبني على هذه الساعة فنضبط ساعاتنا بموجبها . وفي هذا العدد الكبير من الساعات البلورية حد من اعتماد الفلكيين على وسائل أخرى كأساس لقياس الزمن .

أما الساعة الذرية فانها جاءت تحقق ما يطمح اليه الانسان من دقة فائقة في قياس الزمن ، وقوامها هو التحكم بالأنبوب المفرغ كمصدر للتواتر بواسطة الطنين الذري . وأول من صنع ساعة ذرية هو ليونس (R. Lyons) عام ١٩٤٩ ، وكان قوامها غاز الامونيا (NH_3) . فعندما تتعرض جزيئات هذا الغاز لأمواج راديوية من طول معين ، تهيجها تلك الأمواج فتعطي تواترا من مقدار ٢٤ بليون في الثانية . أما الخطأ الناتج في هذه الساعة فهو مقدار ثانية واحدة في مدة ٣٠٠ سنة تقريبا . وسببه الحركة الحرارية وتصادم جزئيات الغاز . وبذلك تبقى هذه الوسيلة لضبط الوقت أفضل بكثير من ساعة الرقاص . وقد تم فعلا صنع ساعة ذرية من هذا النوع في جامعة كولومبيا . وهناك أنواع أخرى من الغاز تصلح لصنع الساعة الذرية .

ويوجد نوع من الساعات الذرية يقوم على انحلال العناصر وتحولها الى اخرى . وهو يمكننا من معرفة تاريخ الأحداث التي طمسها الدهر ، وقوامه العنصر «كربون ١٤» كما سنرى . فمن أهم ما يلزم للمؤرخين وعلماء الآثار في دراساتهم هو تعيين تاريخ الوقائع على اختلاف أنواعها ، لأن هذا يؤدي الى امكانية مقابلة مدنية بأخرى وربط الحوادث بعضها ببعض ربطا علميا يكون أساسا لاستنتاجات على درجة كبيرة من الأهمية والصحة . ولما كانت المخطوطات والكتابات القديمة كثيرا ما تختلف في رواية حادث وزمن وقوعه لأن قسما كبيرا منها كتب بعد مرور زمن على ذلك الحادث ، أصبح من الضروري العمل على ايجاد وسيلة تساعد على تقرير تاريخ الوقائع الى أبعد حد من الدقة .



نموذج لساعة رملية قديمة .

هذا علاوة على اهتمام علماء الفلك في معرفة عمر الأرض وغيرها من الاجرام السماوية .

ان اكتشاف الراديوم عام (١٨٩٨) فتح بابا موصدا ، ظهرت وراءه حقائق لا تحصى في عالم الاشعاع على اختلاف أنواعه . لقد أدى الراديوم ومتفرعاته خدمات كثيرة في عالم الطب والفيزياء والكيمياء وغيرها ، كما أنه ساهم في تعيين عمر الأرض فأدى بذلك خدمة جليلة لعلم الفلك وعلم طبقات الأرض وذلك عن طريق درس انحلال الأملاح الراديومية ، اذ أنها تطلق أشعة معلومة وهي تتحول الى عناصر أخرى . فكمية من الأورانيوم مثلا تطلق أشعة «الفا» ويتحول نصفها الى عنصر آخر في مدة خمس مليارات من السنين . وتستمر الحال على هذا المنوال . . انطلاق أشعة من العنصر الجديد وهو يتحول الى عنصر آخر ، حتى ينتهي به الأمر أخيرا الى أن يتحول الى رصاص . وعلى هذا الأساس قدر العلماء عمر الأرض بألفي مليون سنة .

وقد خطا علماء الذرة والاشعاع الراديومي خطوات سريعة وكبيرة في هذا العلم ، فتوصلوا الى تحويل عناصر غير مشعة الى عناصر تعطي اشعاعا راديوميا . فكان لها شأن كبير في معالجة السرطان وفي نواح أخرى من حقول العلم . ومن أروع ما توصلوا اليه في هذا الباب هو الكربون المشع ، وهو أساس دراسة الأعمار بدون

اللجوء الى السجلات التاريخية . وعما قريب سنشاهد بلا شك بعض المراكز لهذه الدراسات في بلادنا ، وهي بلاد غنية بالتاريخ القديم ، تؤمها البعثات الأثرية من كل حدب وصوب . أما نفقات هذه المراكز فهي زهيدة بالنسبة للفائدة المرجوة منها ، وتبلغ نحو خمسة آلاف دولار كثمن للأجهزة في بادىء الأمر ، مع مبالغ لا تذكر للسهر عليها ولإدارتهـــا .

وقد أجريت تجارب عديدة في جامعات مختلفة فأعطت نتائج باهرة . ففي جامعة شيكاغو وحدها ظهرت نتائج ثلاثمائة تجربة لعمر الأشياء بواسطة الكربون المشع ، فكانت مشجعة للغاية عندما قابلوها مع التواريخ المثبتة بالوسائل العادية ، مع العلم أنها لم تبلغ بعد درجة الكمال .

لنلق الآن نظرة على ما ترتكز عليه هذه الطريقة لدراسة الأعمار بالتفصيل ، حسبما جاء في أحدث الدراسات في الأوساط العلمية . فأساس العملية هو مقياس كمية الكربون المشع في جسم ما ، لأن ذلك دليل على عمر ذلك الجسم . والكربون هذا يتكون في طبقات الهواء العليا بفعل الأشعة الكونية ، لأن هذه الأشعة القوية تأتينا من الفضاء الشاسع ، وتقع على كل جسم في الفضاء والهواء والأرض ، فتحطم بعض ذرات الهواء ، وينتج عن ذلك جسيمات ، منها النيوترونات المعروفة بين القذائف الذرية . هذه القذائف تحول النيتروجين في الهواء الى كربون مشع يعرف بكربون (١٤) كما يظهر من التفاعل التالي :

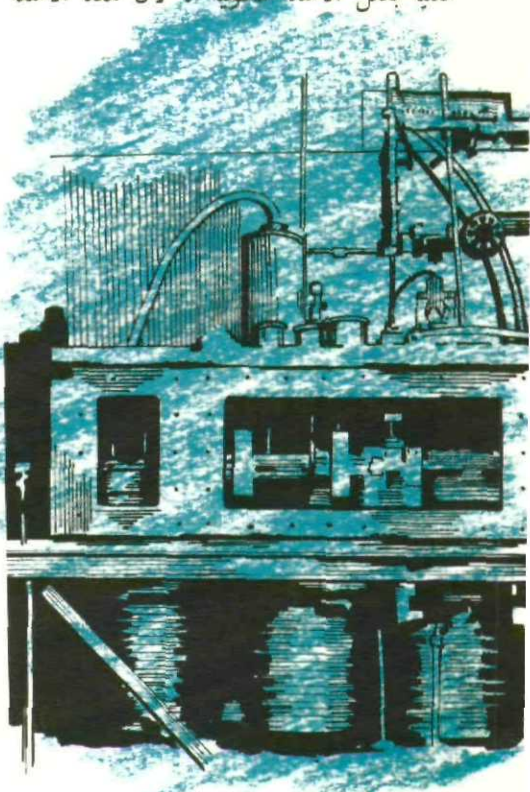
نيتروجين ١٤ + نيوترون = كربون ١٤ + ايدروجين ١

فيتحول كربون ١٤ مع مرور الزمن باطلاق جسيم ذري الى الكربون العادي ووزنه الذري (١٢) بموجب التفاعل التالي :

كربون ١٤ + نيوترون = كربون ١٢ + ايدروجين ٣

فيدخل كربون ١٤ المشع في تركيب ثاني أوكسيد الكربون ، أحد المواد اللازمة في تغذية النباتات . فالحيوانات التي تقتات بهذه النباتات تصبح غنية بالكربون المشع ، وكذلك الحيوانات التي تأكل اللحوم . وتزداد كمية الكربون المشع بازدياد عمر النبات أو الحيوان .

وعند الموت يتوقف الجسم العضوي عن التغذية وتأخذ كمية الكربون المشع بالنقصان ، معلنة بوضوح تام ان عقرب الساعة بدأ يسير الى الوراء . فانحلال ذرات الكربون المشع هو بمثابة ساعة تعلن مرور الثواني والسنين ، ويمكننا أن نعتبر هذا العنصر عقرب الثواني في الساعة الذرية ، والأورانيوم عقرب الساعات ، لأن هذا الأخير يشير بانحلاله الى ملايين السنين ، بينما الكربون المشع فيشير الى ألوف السنين لا غير . فكمية من هذا العنصر تفقد نصف ما تحتوية من ذرات مشعة في مدة نحو ستة آلاف سنة ، وفي المدة نفسها تفقد نصف ما تبقى أي ربع القيمة الأصلية . ويمكن معرفة عمر المواد العضوية أو غيرها لأن كمية الكربون في الجسم الحي معروفة ، وكذلك معدل انحلال الذرات . وأقدم تاريخ أمكن معرفته بهـــذه الطريقة يرجع الى (١٥٥٠٠) سنة ، مع احتمال وجود خطأ بمقدار نحو (١٨٠٠) سنة . أما أقدم من ذلك فلا يمكن قياسه بصورة مضبوطة لأن كمية المادة المشعة تصبح قليلة للغاية . وقد درست أعمار قطع من الفحم والصدف والخشب وجدت في مكان واحد فجاءت أعمارها مطابقة بعضها البعض .



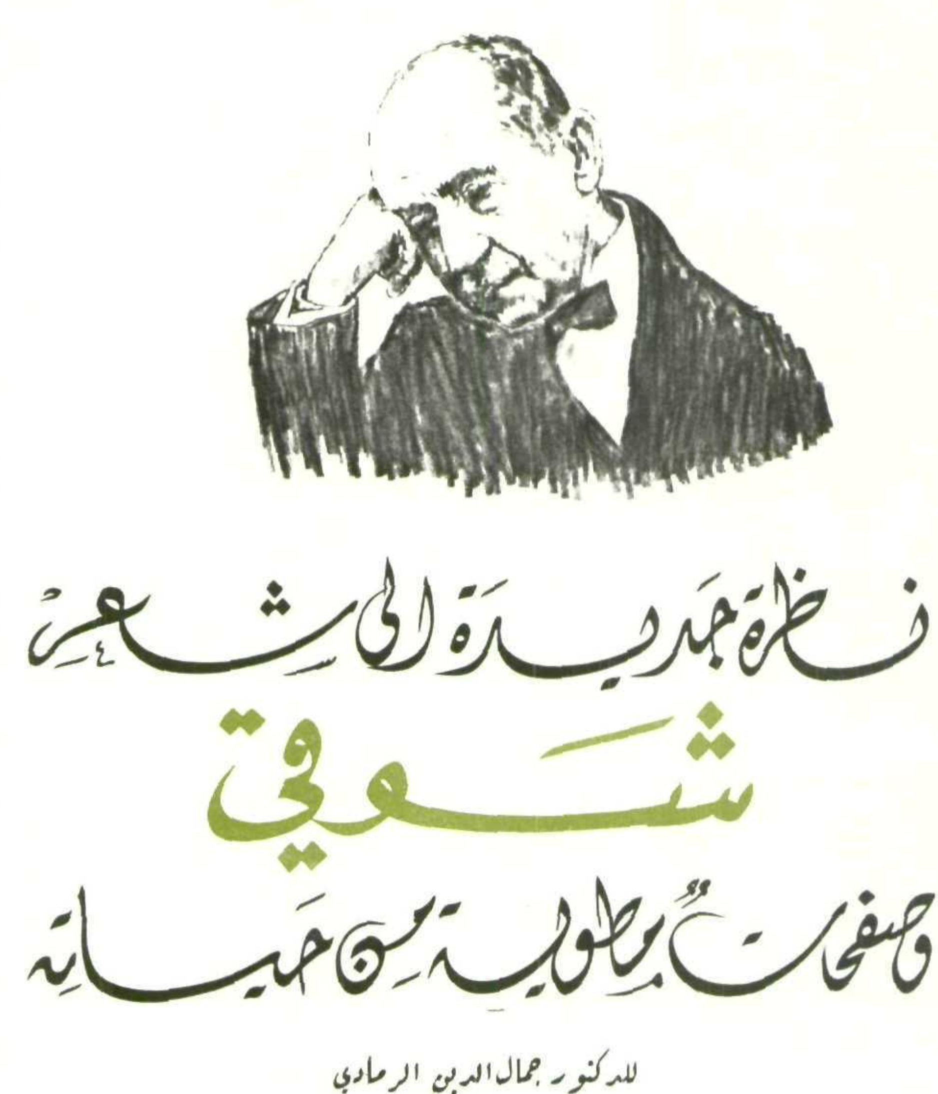
هذا الأنبوب الألكتروني يتمكن من توقيت ومضات الضوء تفصلها فترات من مقدار جزء من البليون في الثانية .

بقي علينا أن نشير الى كيفية اجراء هـــذه العملية ، وهي تتألف من خطوتين . الخطوة الأولى تكون بحرق جزء من الشيء المراد معرفة عمره ، (ويكون عادة نحو خمسمائة غرام) ويعالج بغاز ثاني أوكسيد الكربون ليصبح جسما جامدا . والخطوة الثانية تكون بدراسة كمية الاشعاع بواسطة عداد ألكتروني ، أصبح وجوده شائعا ، وهو يعرف بعداد جيجر « Geiger » . من هذا نستنتج عمر الأشياء ، لأن نسبة الكربون المشع الى الكربون العادي تنقص مع مرور الزمن بصورة معلومة . لكن ما ذكرناه ينطبق على الأجسام العضوية ، ولا فائدة منه في دراسة غيرها من المواد ، كالحجارة والمعادن والأواني الخزفية أو الزجاجية . والقطع الخشبية تعطي أحسن النتائج وكذلك العظام .



استاذ ، من جامعة كولومبيا ، يشرح تركيب أجزاء ساعة ذرية تخطىء ثانية واحدة في مدة ٣٠٠ سنة .

وقد وجد الأثريون حديثا نسخة من التوراة تعتبر من أقدم ما عرف من نسخ هذا الكتاب ، وذلك في أحد كهوف فلسطين . وعندما فحص الثوب الذي لفّت به تبين أن عمره يبلـــغ (١٩١٧) سنة . كذلك جرب علماء الآثار هذه الطريقة على قطعة خشبية من قبر أحد الفراعنة ، فوجدوا أنه قد مر عليها نحو (٣٦٠٠) سنة . وجربوها على حبوب من القمح والشعير عثر عليها في الفيوم فوجدوا أنها كانت هناك منذ (٦٤٠٠) سنة . وفي احدى مدن العجم وجدت عظام مر عليها نحو احد عشر قرنا (١٠٥٠٠) سنـــة .



نظرة جديدة الى شعر شوقي وصفحات مطوية من حياته

للدكتور جمال الدين الرمادي

في عام ١٩٦٨ تحتفل هيئة اليونسكو بذكرى الشاعر الراحل أحمد شوقي على النطاق العالمي اذ تمر مائة عام على ولادته . ومنذ خمسة وثلاثين عاما انتقل الى رحمته تعالى أمير الشعراء بعد حياة حافلة بروائع الشعر والمسرح .

وقد فاضت روحه الى بارئها بعد وفاة شاعر النيل حافظ ابراهيم بما يقل عن ثلاثة أشهر ، ففقد الأدب العربي بموتهما ركنين ركينين من أركانه ، وحاملي لواءين رفيعين من ألوية الأدب العربي في العصر الحديث . وقد أجمع مؤرخو الأدب على أن شوقي عاش حياته الأولى في كنف الخديوي ولكن هذه الصورة التي أجمع عليها الأدباء لم تكن متكاملة في شعر شوقي فقد كان منطلقا في فنه ولم يكن كالشعراء القدامى الذين لم يكن لهم هم إلا أن يقرضوا الشعر في المديح والإطراء .

ولقد كان شوقي يحاول دائما أن يغني مشاعر الأمة العربية وعواطف الأمة الاسلامية ، ولذلك وجدنا شعر العروبة في ديوانه واضحا كل الوضوح ، جليا كل الاجلاء ومما قاله في هذا الصدد :

كان شعري الغناء في فرح الشر
ق وكان العزاء في أحزانه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجر
ح وان نلتقي على أشجانه
نحن في الفقه بالديار سواء
كلنا مشفق على أوطانه

وكذلك مضى شوقي يغني مشاعر المسلمين ، وله في هذا الباب قصائد عديدة مشهورة .

ويعتبر شوقي شاعر الغناء الأول في العصر الحديث ، فقد استطاع أن يتغنى بخلجات النفس الانسانية ، ويصور خلجات الحب ، وتباريح الهوى ، بل ان هذه الصفة قد لازمته في شعره حتى طغت على الفن المسرحي كما حدث في مسرحيتي «مجنون ليلى» و «مصرع كليوبترة» . ومن أروع قصائده في الغناء ، «يا ناعما رقدت جفونه» و«ردت الروح على المضنى معك» و «يا جارة الوادي طربت وعادني» . كما نظم بعض أشعاره باللغة العامية ومن ذلك « يا ساهي الجفون » و « ياما انت واحشني » و«في الليل لما خلي» .

وعندما توفي الشيخ سلامه حجازي رثاه أحمد شوقي بقصيدة من عيون قصائده ، كما رثى المرحومين عبده الحمولي وعبد الحي حلمي بقصيدتين فذتين تدلان على أن له أذنا موسيقية ونفسا تطرب للشدو والانشاء .

ومن الثابت أن شوقي هو الذي حمل المطرب عبد الحي حلمي على تلحين قصيدة المتنبي المشهورة التي مطلعها : أصخرة أنا ؟ مالي لا تحركني . .

وعندما توفي الموسيقار والمغني الشعبي سيد درويش عام ١٩٢٣ ، رثاه أمير الشعراء أحمد شوقي بقصيدة رائعة أطلق عليها «الشعاع النابغ» وجاء فيها :

انما يبكي شعاع نابغ
كلما مر به الدهر اضاء
ملأ الأفواه والأسماع في
ضجة المحيا وفي صمت الفناء
حائط الفن وباني ركنه
معبد الالحان اسحاق الغناء

وقد كتب أحمد شوقي للمسرح فألف الى جانب مسرحيتي «مجنون ليلى» و «مصرع كليوبترة» ، رواية «علي بك الكبير» ، و «قمبيز» ، و «الست هدى» ، و «أميرة الأندلس» . وقد كتب المسرحية الأخيرة وهو منفي في الأندلس واستمد حوادثها من حياة الملك المنفي المعتمد بن عباد ، وقصة حب ابنته بثينة لحسون أحد ابناء التجار العرب . وهي المسرحية الوحيدة التي كتبها شوقي نثرا وليس شعرا كعادته في تأليف المسرحيات .

شوقي والفن المسرحي

ومهما وجه الى شوقي من انتقادات فنية حول الحبكة المسرحية والتكنيك المسرحي ، فإنه يعتبر بحق واضع لبنة راسخة في بناء المسرح العربي في الشرق . وعلى غراره نهض الذين كتبوا المسرحيات الشعرية ، ومنهم الشاعر الكبير عزيز أباظة الذي ألف مسرحيات «قيس ولبنى» و «العباسة» و «قيصر» وغيرها من المسرحيات الشعرية . الا أن مسرحية «قيس ولبنى» تختلف كل الاختلاف عن مسرحية «قيس وليلى» التي نظمها شوقي .

كان شوقي كثير القراءة والاطلاع ، وكان يقبل على قراءة الشعر حتى في عصور تراجعه ، ويروي الشاعر الراحل علي الجارم أنه زاره يوما وكان شوقي مريضا وكانت حجرة نومه صغيرة قليلة

الأثاث ، فإذا هو في سرير صغير وقد بعثرت الكتب من حوله ، فمد الجارم يده الى احدها فاذا هو «خزانة الأدب» لابن حجة الحموي ، فسأله في استنكار : أتقرأ أمثال هذه الكتب ؟ ان أكثر ما فيها شعر صناعي ليس فيه الا زخرف لفظي وبراعة في التزويق . فابتسم شوقي وقال : ان الشاعر يا أخي يجب أن يقرأ كل شعر ، وان هذا الكتاب كاسمه خزانة أدب وخير ما فيه شعر العصر المملوكي .

وقد كان شعر شوقي ثمرة قراءاته الواسعة وثقافته العميقة . وكان رغم مكانته المرموقة ، يحب أن يحيا حياة شعبية ، ويندمج مع أبناء الشعب ، فكان لا يركب الترام الا في الدرجة الثانية ، ويجلس معهم وينصت الى حديثهم . وقد حدث أن صادفه الشاعر أحمد محفوظ ذات مرة وهو يركب الترام بين اثنين من العمال فخاطبه بلقب «باشا» ، وكان شوقي يحمل هذه الرتبة من الحكومة ، فظهر على شوقي الضيق . وعندما هبط من الترام ، لام شوقي محفوظا لأنه قطع عليه سماع الحديث بين أبناء الشعب .

والطريف أن شوقي كان مغرما بالذهاب الى المسرح ، وكان لا يجلس الا في الصفوف الأولى ، وذلك لأنه كان مضعوف البصر لا يرى المناظر إلا عن قــرب .

شاعر إنسان

وكان شوقي يعطف دائما على سكرتيره «احمد عبد الوهاب» . وقد ارتاح شوقي الى خدمته ، ولمس فيه الوفاء . فكان لا يألوا جهدا في سبيل رعايته والعطف عليه .

وحدث عندما علم شوقي بموت والد سكرتيره الخاص أن سافر الى بلدته ليعزيه . وظل هناك ثلاث ليلات متتابعات على الرغم من أن شوقي لم يكن يتوجه الى المآتم ، أنما كان يكتفي بقصائد الرثاء . وذلك لأنه كان ضعيف الأعصاب لا يحتمل ذكر الموت . بيد أن وفاءه لسكرتيره الخاص أملى عليه أن يحتمل ذلك .

ومن الطرائف التي تزوى عن حياة أمير الشعراء أنه كان لا يلبس في البيت الا الصوف صيفا وشتاء ، وأنه كان لا يخلع الجورب من قدميه مطلقا ثم انه كان يرتدي جلبابا أبيض فضفاضا عند النوم .

وكان شوقي متعلقا تعلقا تاما بأسرته وأبنائه ، وقد تضمن شعره رثاء والده ورثاء والدته ورثاء جدته «تمزار» ، كما تضمن شعره بعض القصائد في ابنه «علي شوقي» عندما كان صغيرا . وعندما بشر بابنه علي ، نظمه قصيدة مرحة مطلعها .

صـــار شوقـــي أبـــا علـــي
فـــي الـزمـــان الترلـــلـــي

وكذلك نظم شوقي بعض قصائده في ابنته «أمينة» ووصف لها البحر أثناء سفره الى أوربا .

وحدث عند وفاته أنه كان يقرأ في كتاب تاريخ الحسين ، ثم شعر بألم في صدره ولم يسعفه العلاج ، ففاضت روحه الى بارئها يوم ١٣ اكتوبر عام ١٩٣٢ .

وقد كان على رغم جده في الشعر ، مرح المجلس عذب الحديث ، وكانت كرمة ابن هانيء مقصد الأدباء والشعراء من كل فج ، حيث يتنادرون ويتبادلون أحلى النوادر والطرائف وأجمل الأشعار والقصائد حتى ساعة متأخرة من الليل . وكانت النكتة لا تفوته والدعابة لا تفارقه ، وفي الشوقيات قصائد طريفة ومداعبات فكهة خفيفة مع الدكتور محجوب ثابت الذي اشتهر «بقفشاته» الحلوة وأسلوبه الضاحك في الحديث مع ما اتصف به من شهامة وبطولة في ميدان الطب والجهـاد .

أثر الثقافة الأدبية في شعره

هناك فترة في حياة أحمد شوقي لم ينتبه إليها أكثر الباحثين ، بيد أنها أثرت تأثيرا كبيرا في ثقافته واتجاهه الأدبي ، وأعني بها الفترة التي قضاها شوقي في أوربا بعد أن تخرج في قسم الترجمة بمدرسة الحقوق بالجامعة المصرية ، فقد أوفد شوقي الى أوربا حيث درس في جامعة «مونبليه» ، ثم التحق بجامعة باريس ، فقضى في فرنسا ما بين عامي ١٨٨٧ و ١٨٩٠ . وكان في هذه الفترة يتصل بالثقافة الأوربية اتصالا وثيقا عن قرب . ومن الأدباء الذين عاصرهم الراحل أحمد شوقي في فرنسا الأديب اسكندر ديماس (الابن) ، واميل اوجييه ، وكلاهما كان من كتاب القصة الواقعية في الأدب الفرنسي . كما اتصل شوقي بالمسرح الفرنسي وكان من أعلامه في تلك الفترة الكاتب الفرنسي «فيكتور ساردو» الذي ظل يتحف المسرح الفرنسي بروائعه المسرحية حتى توفي عام ١٩٠٨ ، كما عاصر أحمد شوقي في تلك الفترة الكاتب الفرنسي «اميل زولا» الذي عاش بين عامي ١٨٤٠ — ١٩٠٣ ، والكاتب القصصي جي دي موباسان رائد المذهب الطبيعي في الأدب الفرنسي وعاش بين عامي ١٨٥٠ — ١٨٩٣ .

وكان شوقي يرتاد المسارح في باريس حيث كانت تعرض روائع المسرح الفرنسي والانجليزي ، كالأوديون ، واللوفر ، والكوميدي فرانسيز ومسرح الفن والمسرح الحر الذي أنشأه «أندريه انطوان» . وقد اعترف شوقي في أحد أحاديثه بأنه نظم جزءا من مسرحية «مصرع كليوبترة» وهو في باريس ، ثم استكملها في القاهرة بعد ثلاثة أشهر . واذا عرفنا أن مسارح باريس كانت تعرض كثيرا من المسرحيات العالمية عن كليوبترة كسرحية شكسبير واميل مورو أيقنا أن شوقي ترسم خطاها وتأثر بها .

وقد نظم شوقي قصيدة في وصف باريس تعبر عن مدى قوة هذا الشاعر وقدرته على امتلاك ناصية البيـــان .

شوقي والمستشرقون

هذا عن تأثر شوقي بالثقافة الغربية التي دفعته أن يخوض ميدان المسرحية فيخرج روائعها ، وقد ظفر باعجاب كثير من النقاد الغربيين أمثال المستشرق عبد الكريم جرمانوس ، الـذي فتن بـه افتتانا عظيما وترجم بعض شعره الى اللغة المجرية والمستشرق الفرنسي «بلاشير» الذي نقل بعض أشعاره الى الفرنسية . أما الدكتور «هاملتون جيب» فقد ترجم بعض أشعاره الى الانجليزية وقام بعدة دراسات عن مكانته في الأدب العربي الحديث ، وكتب عنه المستشرق الألماني «بروكلمان» صاحب الموسوعة الكبيرة «بروكهوس» فقد كتب عنه فصلا مستفيضا وتعرض لبراعته في الشعر الغنائي ودوره في التأليف المسرحي .

والواقع أن شوقي لم يكن شاعر ألفاظ ، وانما كان شاعر معان سامية وأفكار ناضجة وخيالات رفيعة . ومن هنا كان شعره يحظى بالإعجاب اذا ما ترجم الى اللغات الأجنبية . فليست روعته في جمال السبك وجودة الوصف واتقان المبنى ، انما في مقومات أخرى تتصل بالمعنى والخيال والجلال . وهناك أمثلة كثيرة على ذلك من نظمه حتى أن بعضها جرى مجرى الأمثال ، ومن ذلك قوله :

وانمـــا الأمـــم الأخـــلاق مـــا بقيــت
فـإن هـمـو ذهبـت أخلاقهـم ذهبـوا

وقـولــه :

رب ان شـئـت فالفضـــاء مضيـــق
واذا شئـت فـالمضيـــق فـضـــاء

وقـولــه :

مـا أصعب الفعـل لمـن رامـه
وأسهـل القـول على مـن أراد

وقـولــه :

صـــلاح أمرك للأخـــلاق مرجعـه
فقـــوم النـــفس بالأخـلاق تستقم
والنفس مـن خيرهـا في خيـر عافية
والنفس من شرها في مرتـع وخم

فهذه الأبيات لو نقلت الى اللغات الأجنبية لم تفقد قيمتها أو حلاوتها أو طلاوتها لما فيها من معان أخاذة وأفكار خلابة ، ومن هنا كان شوقي أديبا عالميا فذا ، وحبذا لو شحذنا الجهد لترجمة روائعه المسرحية وشعره الغنائي على نطاق واسع وصعيد عالمي . فالأدب مرآة صادقة لنهضة الأمة . والأدباء العمالقة معبرون عن مجدها ، وحبذا لو تم ذلك قبل الاحتفال الكبير الذي تزمع هيئة اليونسكو اقامته في عام ١٩٦٨ للاحتفال بذكرى هذا الشاعر الفذ .

النهضة الأدبية في لبنان

بقلم الامير نديم آل ناصر الدين

قامت النهضة الادبية في لبنان على ركائز ثلاث : الرواد الاوائل للعلم ، والمدرسة ، والصحافة . ولكل من هذه الركائز اثرها البالغ في هذه النهضة التي تجاوزت ، بعدئذ ، لبنان الى غيره من بعض اجزاء العالم العربي ، بعد عصر الركود الطويل .

أثر الرواد الأوائل للعلم في النهضة الأدبية

على رغم التفاوت التاريخي بين الرجال الذين أسسوا الركيزة الأولى من ركائز النهضة الأدبية في لبنان ، وكان لبعضهم يد في تأسيس الركيزتين الثانية والثالثة ، لا يصح لنا اطلاقا الا أن نسميهم جميعا الرواد الأوائل للعلم !

كان طليعة الرواد الأوائل للعلم في لبنان ومن بناة النهضة الأدبية فيه ، الأمراء التنوخيون .

وكان للأمراء التنوخيين ، طوال أيام دولتهم ، بلاط يجتمع فيه الشعراء والأدبـاء والعلماء والمحدثون ، على مثال بلاطات الخلفاء والملوك ، في صدر الفتوحات العربية .

ومن أشهر شعراء البلاط التنوخي الشاعر محمد الغزّي ، ومن شعره ، في مدح الأمير ناصر الدين الحسين الكبير ، أمير الغرب ، المتوفى سنة ١٣٥٠م ، قوله من هائية :

هل للحسين بن خضر في الورى أحد
جودا يباهيه أو بأسا يضاهيه
ان قلت ليث فما لليث همته
اذا سطا يوم حرب في أعاديه
أو قلت غيث فما للغيث موقعه
في النقع ما بين قاصيه ودانيه
أو قلت بحر فأين البحر من رجل
لو أعطي البحر أعطاه بما فيه

وللأمير ناصر الدين الحسين الكبير ، أمير الغرب ، قصائد في أغراض مختلفة . ومن شعره قصيدة يرثي بها شقيقه الأمير عز الدين الذي قتل على رأس الحملة اللبنانية الى الكرك . منها قوله :

ودعتكم وفؤادي في وديعتكم
رهن وقلبي ولبي أنتم فيه
لا تمنعوا طيفكم في النوم يطرقه
لعله من سقام البعد يشفيه

وكان الأميران جمال الدين عبد الله وأمين آل ناصر الدين من أكبر العلماء والأدباء البارزين في البيت التنوخي . ومن روائع شعر الأمير أمين مفاخرا بلبنان ، موطن آبائه واجداده ، قوله ، من دالية :

سلوا من ربى لبنان أقدمها عهدا
وناجوا صروحا حاكت الابلق الفردا
تخبركم انا حماة زماره
وانا بنينا بالسيوف له مجدا
تباهى بنا لبنان حتى كأنه
عرين وقد ضمت جوانبه أسدا

ومن طلائع الرواد الأوائل للعلم ، في لبنان ، وبناة النهضة الأدبية فيه ، الأمراء الارسلانيون ، أبناء عمومة الأمراء التنوخيين . ومن أقدم علمائهم الأمير محمد الأمين أرسلان المتوفى في « آستانة » عاصمة السلطنة العثمانية . وقد رثاه يومئذ الشيخ ابراهيم اليازجي بميمية ، منها قوله :

ولما نعى في أرض لبنان أوشكت
جنادله من حسرة تتألم
كريم له من آل رسلان محتدا
ومن نفسه مجد سنّي معظّم
تنوح القوافي بعد يومك حسرة
فنوشك نخشى نثرها حين تنظم
وتندبك الأقلام من حيث رددت
حنينا وأجرت عبرة حين ترقم
وبين المذاكي والسيوف مناحة
وبين الحجى والعلم والمجد مأتم

وانتهت امامة العلم وامارة الجهاد في البيت الارسلاني اللبناني الحاكم ، الى عميديه المغفور لهما الأميرين شكيب وعادل . ومن قصيدة للأمير شكيب ينازعه فيها الشوق الى لبنان ، موطن آبائه وأجداده ، قوله :

قضيت في غربتي دهرا صبرت له
أذوب شوقا الى وكري وأشتعل
لا زلت يا وطني لبنان طودَ عُلىً
يعتز كل فتى في فيئه يئل

* * *

وجرى الأمراء الشهابيون ، على خطى الأمراء التنوخيين ، في اقامة بلاط للشعراء ، وكان شعراء البلاط الشهابي ، في أيام الأمير بشير الشهابي الكبير : الشيخ نصيف اليازجي ، والمعلم بطرس كرامة ، والشيخ أمين الجندي ، والمعلم نقولا

التراث . ولطالما شهد قصر بيت الدين ، هؤلاء الشعراء ، يتبارون في مدح أبي سعدى أمير لبـــنان !

وحسبنا أن نذكر من طلائع الرواد الاوائل للعلم في لبنان ، ومن بناة النهضة الأدبية الحديثة ، وحملة ألويتها فيه : آل اليازجي ، وآل البستاني ، وآل الأسير ، وآل الكستي ، وآل الأحدب ، وآل الحداد ، وآل الشرتـــوني ، وآل الرافعي ، وآل الملاط ، وآل عطية ، وآل تقي الدين ، وآل المعلوف ، وآل الجسر ، وآل عقل ، وآل خير الله ، وآل الانسي ، وآل بيهم ، وآل سركيس ، وآل صروف وغيرهم !..

وعدا هذه الأسر التي نشأ سواد رجالها على حب العلم وخدمته ، وتفرغوا للجهاد الأدبي ، هناك رجال من مختلف أنحاء لبــنان ، ورجال غيرهم اتخذوه مقاما ، كانوا جميعا من ألوية العلم ، واقطاب القلم ، ونفحوا النهضة الأدبية بعطاء غزير كان من آيات اعتزازها ، يكفي للدلالة أن نذكر منهم : الشيخ ابراهيم الحوراني ، والشيخ أحمد فارس الشدياق ، والمعلم بطرس كرامة ، والشيخ أمين الجندي ، والشيخ أحمد عباس الأزهري ، والشيخ محي الدين الخياط ، والشيخ عبد الرحمن سلام ، والشيخ مصطفى الغلاييـــني ، والمعلم جرجـــي زيـدان ، وغيرهم مئات !..

هؤلاء الرواد الأوائل هم بناة الركيزة الأولى للنهضة الأدبية ، في لبــنان ، وسائر مواطن الشرق العربي ، ولبعضهم يد في بناء الركيزتين (الثانية) و (الثالثة) .

أثر المدرسة في النهضة الأدبية

لا جدال في أن المدرسة كانت الركيزة الثانية ، من ركائز النهضة الأدبية في لبــنان ، وكانت وسيلة طلاب العلم والمعرفة لنيل أمانيهم ، والحصول على ضالاتهم ، من أقرب السبل !

وقد افتتح في لبــنان العديد من المدارس الأجنبية ، وعلى أثر انتشارها استيقظت همم اللبنانيين ، وأقبلوا على تأسيس المدارس الوطنية ، فمن ذلك أن تكونت في سنة ١٨٧٨م « جمعية المقاصد الخيرية » التي تولت آنذاك فتح عدد من المدارس الابتدائية للذكور والاناث ، وفي سنة ١٨٩٥م أسس الشيخ أحمد عباس الأزهري « المدرسة العثمانية » ، ثم حولها بعدئذ الى كلية باسم « الكلية الاسلامية » . وقد كان للمدارس الوطنية تأثير بيّن في العناية بالعربية في هذا البلد والمحافظة على سلامة اللسان العربـــي من الرطانة .

وكان لفريق من رواد العلم الأوائل الذين زاولوا مهمة التعليم في المدارس الأجنبية ، فضل على لبــنان ، بما طبعوا هذه المدارس ، وما أضفوه عليها من الطراز العربي الصرف ، على الرغم مما كان يعترضهم أحيانا في بعضها من مقاومة يمليها الغرض السياسي !

وتوالى تأسيس المدارس الخاصة ، في لبــنان ، غالبا فيها الطابع الوطني على الطابع الديني أو الطائفي ، والطابع الثقافي على الطابع التجاري ، الى أن انتهت الحرب الأولى ، فاذا كثير من المدارس الخاصة المستحدثة بعد الحرب الأولى ، تنحرف عن النهج العلمي الوطني السليم ، وتصبح أشبه بالمتاجر ...

وبازاء تحوّل كثير من المدارس الخاصة الى متاجر ، نشطت الحكومة اللبنانية في فتح المدارس الحكومية ، نشاطا بارزا .

ومن الحق والعدل القول ان آلاف الشبان في لبــنان والعالم العربي مدينون للمعلمين الرواد الأوائل بالجميل ، ولم يقف فضل سوادهم على المدرسة ، بل تجاوزه الى الصحافة ، فكانوا أبـرز أركانها ، وحملة ألويتها ، فاذا هم بناة الركائز الثلاث ، في النهضة الأدبية الحاضرة !!

أثر الصحافة في النهضة الأدبية

كانت الصحافة ، بلا ريب ، الركيزة الثالثة ، للنهضة الأدبية في لبــنان ، اذ قام عـلى حياطتها ، والعناية بأمرها ، وتمحيص آرائها ، وتقويم مناهجها ، سواء الرواد الأوائل للعلم ، كما قاموا على حياطة المدارس وتوجيهها ، وطبعها بالطابع الوطني القويم !

وقبل الصحافة ، كانت آفاق الفكر والرأي ضيقة ، لا تتعدى البيوت والأندية والمجامع . ولكن بعد تأسيس الصحافة انطلق الفكر واتسعت مجالاته ووسائل نشره .

وحسبنا أن نذكر من بواكير الجرائد والمجلات ، التي حملت لواء الفكر ، ووسعت آفاق المعرفة والثقافة ، نفير سورية ، والجنان ، والجنينة ، للمعلم بطرس البستاني . والمقتطف ، للدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر ، ولسان الحال ، للاستاذ خليل سركيس . والصفاء ، للأمير علي آل ناصر الدين التنوخي وغيرها !

وضاق لبــنان بمطامح فريق من اعلام القلم وقادة الرأي فيه ، في مقدمتهم الشيخ ابراهيم اليازجي ، والشيخ نجيب الحداد ، والمعلم جرجي زيدان ، والدكتور يعقوب صروف ، والدكتور فارس نمر ، وسليم تقلا ، وبشاره تقلا ، وخليل المطران ، وسليم سركيس ، وغيرهم ، فانتحوا وادي النيل ، وأسسوا فيه الجرائد والمجلات . فكانت نهضتان قلميتان جبارتان . واحدة في لبــنان ، وأخرى في مصر ، تركتا آثارهما في رحاب الشرق العربي ، متجاوزتين اياه الى آستانة عاصمة السلطنة العثمانية . وكانتا ، بلا جدال ، من أهم الأسباب التي حملت الدولة العثمانية على اعلان الدستور في سنة ١٩٠٨م !

وبعد اعلان الدستور العثماني ، أسست في لبــنان ، كثير من الصحف والمجلات السياسية ، في طليعتها : الحقيقة ، لكمال عباس . والبيرق ، لسعيد فاضل عقل . والوطن ، لشبلي الملاط . والبلاغ ، لمحمد الباقر . والبيرق ، لبشاره الخوري (الأخطل الصغير) . وصدى لبــنان ، لسجعان عارج . ومجلة العرفان ، لأحمد عارف الزين . وغيرها !.

ثم توالى تأسيس الصحف السياسية ، في العهد الانتدابي ، حتى بلغ عددها العشرات . من أبرزها : « الأحرار » لجبران التويني ورفاقه ، و « البلاد » ليوسف الخازن ، وموسى نمور ، و « الراصد » لوديع عقل ، و « المعرض » لميشيل زكور ، و « النداء » لكاظم الصلح ، و « بيروت » لمحي الدين النصولي ، و « العاصفة » لكرم ملحم كرم ، و « النهار » لجبران التويني ، و « اليوم » لعفيف الطيبي ، و « العهد الجديد » لخير الدين الأحدب ، وغيرها .

وبعد زوال الانتداب الفرنسي ، أسس عدد من الصحف السياسية . من أبرزها : الحياة ، لكامل مروة ، والجريدة ، لجورج نقاش ، والزمان ، لروبير أبيلا ، وتلغراف بيروت ، لنسيب وتوفيق المتني ، والسياسة ، للدكتور عبد الله اليافي ، وصوت العروبة ، للنجادة وغيرها.

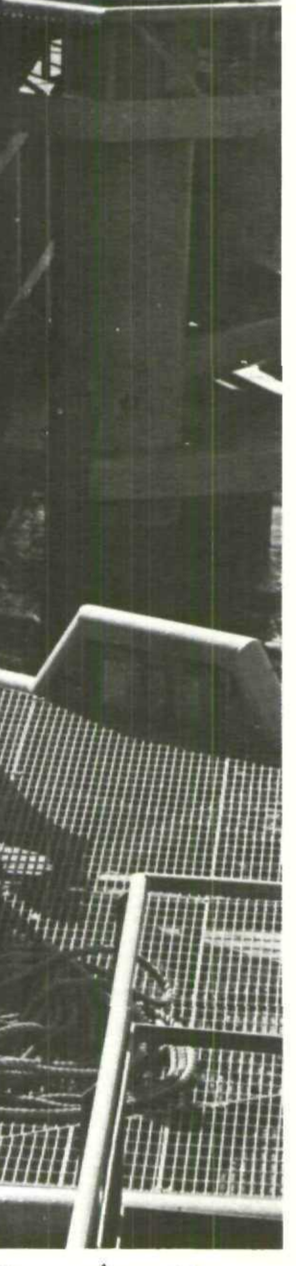
هذه هي مراحل النهضة الأدبية ، فـي لبــنان ، ابتدأت بالرواد الأوائل للعلم ، ثم جاءت المدرسة ، ثم الصحافة .

وليس من الحق أن ننكر فضل المطبعة ، على النهضة الأدبية . فلقد كان لهـا ، عامل الإسراع الزمني ، في هذه النهضة . فالمطبعة والكتاب والصحيفة توائم ، لا يمكن أن ينفصل بعضها عن بعضها الآخر .

جزر إصطناعيّة في مياه الخليج العربي

احدى منجزات الانسان ، غرسها على أقدام راسخة في البحر ، فوقفت تتحدى الأمواج والعواصف . تلجأ اليها البواخر والناقلات ، فتغدق عليها مما لديها من ذهب أسود وخيرات .

احدى الناقلات الضخمة أثناء رسوها آمنة في الجزيرة الاصطناعية في رأس تنورة .



ناقلة زيت أخرى بمحاذ
قيامهم بعملية الربط .

لما كان البحر هائجا والريح عاتية ، وكانت الأمواج تتقاذف القارب من كل جانب فاذا به يعلو ويهبط حتى لقد خيل اليّ ، في كل مرة يهبط فيها أن الأمواج قد تبتلعنا بين أشداقها ، أو اننا سنغدو طعاما للأسماك التي يزخر بها الخليج . فانتابني الخوف وتملكني الوجل الا أن قبطان القارب كان ممن عاركوا البحر وعاركهم ، وممن رأوا من أهواله الشيء الكثير ، فكان كلما رآني خائفا سرّى عني ببعض كلماته التقليدية : « هذي بسيطة يا شيخ.. لسّا البحر ما ثار » ، فأتمالك روعي قليلا ، ثم أعود للتفكير . ما دامت الأمواج هذه بسيطة فماذا يكون شأننا عندما تزداد ثورة البحر وهيجانه.. الله يستر . وبعد قليل من التساؤلات والتفكير والحيرة ، رأيت نفسي أنشغل عن الخوف بالدعاء ، فاذا بالايمان يبعث في نفسي قوة وصلابة فأنسى الهلع .

كانت رحلتي هذه الى الجزيرة الاصطناعية التي تبعد عن فرضة رأس تنورة البحرية حوالي كيلومترين ، ومع أن المسافة تكاد لا تعد رحلة بالمعنى المفهوم ، فقد استغرق القارب في قطعها حوالي نصف ساعة ، وصلنا بعدها الى الجزيرة ، وبصعوبة كبيرة استطاع القارب محاذاتها لحظة نزولنا منه لعلو الأمواج . ثم عاد الى الشاطيء ينتظر كل من يود الذهاب الى الجزيرة . فهذا القارب مخصص لموظفي الجزيرة وزائريها ، ويستخدمونه في تنقلاتهم ، ويطلقون عليه اسم « تاكسي الجزيرة » .

ومشينا على رصيف من الصلب يبلغ طوله حوالي ٢٠٠ متر ، يحمله في بدايته ووسطه منصتان صغيرتان يثبت كلا منهما في قعر البحر أربع ركائز من الأنابيب قطر كل منها ٣٠ بوصة. وهذه الركائز نفسها تستخدم هاماتها في ربط الناقلات بالجزيرة . أما نهاية الرصيف فتفضي الى المنصة



ـرة الاصطناعية ، ويبدو هنا بعض الموظفين أثناء



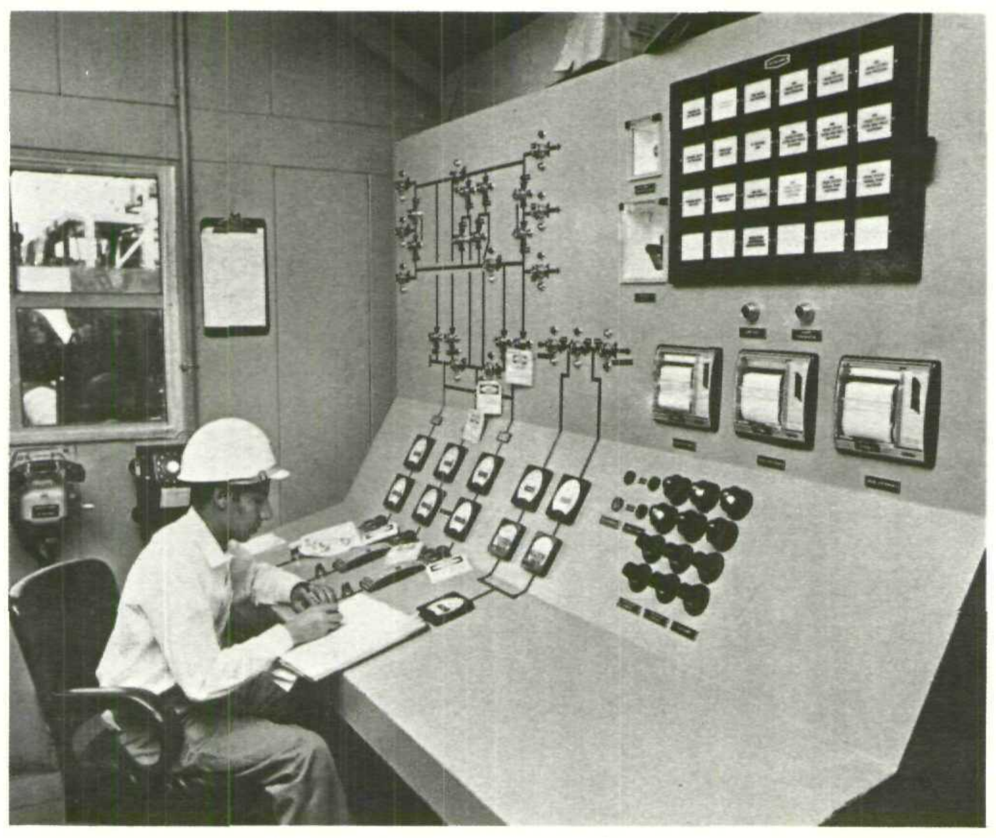
بعد أن يفسح الطبيب الناقلة يقوم رئيس مشغلي الجزيرة بتفتيشها من ناحية السلامة قبل أن يشرع في تعبئتها .

الرئيسية في الجزيرة وهي عبارة عن مسطح مستطيل الشكل مساحته حوالي ٢٥٠×١٥٠ قدم مربع . وعلى متن المنصة ، يواجهك مبنى مكون من ثلاثة أدوار ، الدور الأول منه يحتوي على المحولات الكهربائية ، ولوحة المفاتيح الألكترونية ، ومراوح لتنقية الهـواء من الغاز المنتشر ، وخزانين ، ومضخة لتفريغ أذرع التعبئة من الزيت المتبقي فيها بعد التعبئة واعادته للخزانات ، ومضخة لضخ الميـاه من خزان ميـاه الشرب الى المطبخ . والدور الثاني يضم مكتبا للموظفين ، وغرفة للمراقبة ، ومختبرا ومستودعا صغيرين ، وغرفـة لتكييف الهواء . أما الدور الثالث فعبارة عن جناح سكن احتياطي للموظفين يستخدمونه في حال هيجان البحر وعدم تمكن « تاكسي الجزيرة » من الوصول اليها ونقلهم الى اليابسة .

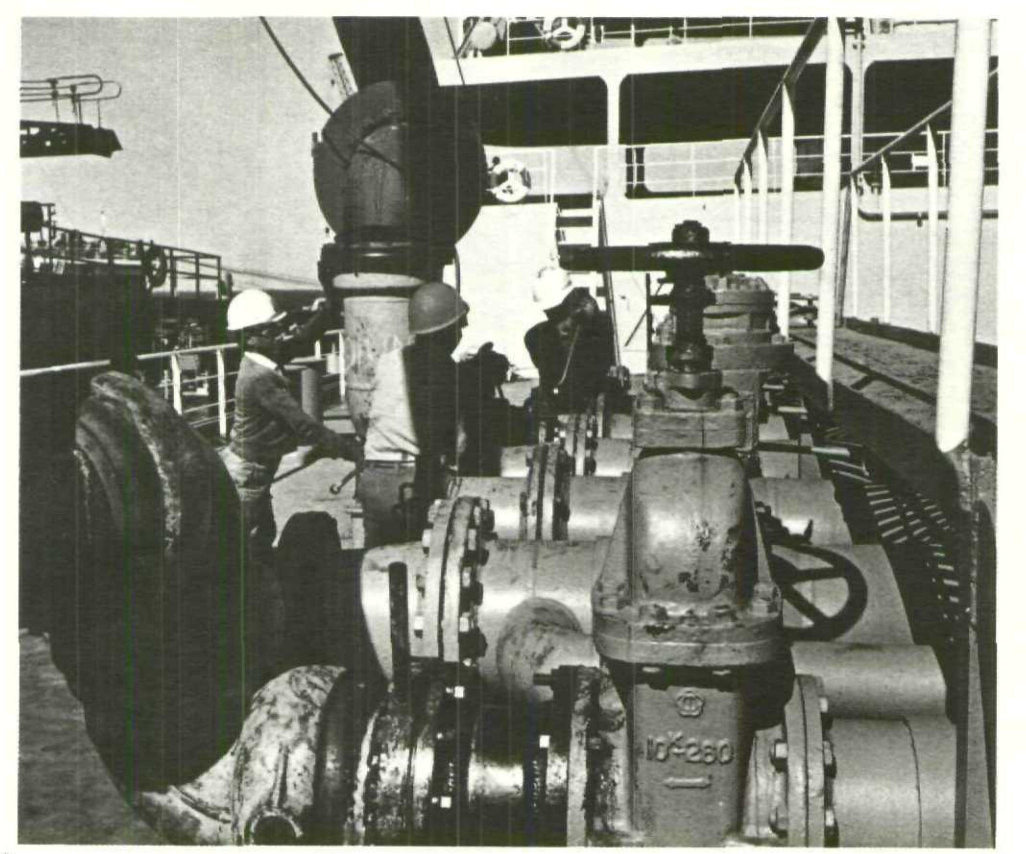
واذا غادرت المبنى وألقيت نظرة على المنصة الرئيسية للجزيرة الاصطناعية ، رأيتها مع ضيق رقعتها تحمل الكثير من المرافق الضرورية لتحميل السفن ، ففيها ثماني أذرع للتعبئة ، أربع منها في المرسى الغربي ، وأربع أخرى في المرسى الشرقي . ومن بين الأذرع الأربع الموجودة في كل مرسى ، ذراع لتعبئة الناقلات بالوقود اللازم لها ، وثلاث أذرع لتحميلها بالزيت الخام . ولكل مجموعة من الأذرع المذكورة برج يحتله المشغل الذي يقوم بمد الأذرع وتحريكها حسب الضرورة ليمسي بالامكان ربطها بالناقلات. وتحمل المنصة الرئيسية أيضا رافعتين اثنتين ، طاقة احداهما خمسة أطنان وطاقة الأخـرى ضعف الأولى .

وتحوي الجزيرة الاصطناعية بالاضافة الى ذلك أنابيب متشابكة وصمامات للأمان ، وأعمدة للانارة الكهربائية ، ومضختين لاطفاء الحرائق ، الى غير ذلك من المعدات والمرافق المهمة . والى شمالي المنصة الرئيسية ، يمتد رصيف آخر شبيه بالرصيف الجنوبي فيه منصتان أخريان لربط السفن .

هذه هي الجزيرة الاصطناعية كما رأيتها من خلال زيارتي الاستطلاعية الأولى لها . ومع أن زيارتي هذه كانت خاطفة الا انها تركت في نفسي من الاثارة والاعجاب ما حفزني الى زيارتها مرة أخرى . وهكذا أخذت أتحين الفرصة المواتية حتى جاءت فانطلقت الى رأس تنورة ، واستقليت تاكسي الجزيرة ، ولم يكن حظي من البحر أحسن من المرة السابقة ، الا أن رؤية



غرفة المراقبة حيث التحكم في مختلف العمليات الجارية على الجزيرة .



بعد التفتيش يقوم العمال بربط أذرع التعبئة جيدا ثم تبدأ عملية التعبئة .

الجزيرة والتعرف بكل ما لم أستطع معرفته سابقا شغل تفكيري عن الخوف ، فلم آبه كثيرا بالموج وعتوّه .

وصلت الجزيرة ، وكان أول شيء قمت به هو التعرف برئيس مشغلي الجزيرة الذي كان في ذلك الوقت ، السيد علي صالح . وما ان أدرك الغاية من زيارتي حتى انطلق يروي لي سبب انشاء الجزيرة وأهميتها بالنسبة لشحن الزيت . ثم رافقني في جولة على سطحها ، وأخذ يشرح لي عمل كل مرفق من مرافقها . وبعد ذلك سرنا معا الى المنشآت الجديدة التي يجري بناؤها ، والتي سيمسي جزء منها صالحا للاستخدام في منتصف العام الحالي . وحسب القارىء أن يعلم بأن المنشآت التي تضمها الجزيرة الاصطناعية رقم — ١ ، والتي هي رهن الاستخدام حاليا ، ما هي الا ثلث الجزر الاصطناعية التي يتوقع تمامها في نهاية هذا العام .

الجزيرة الاصطناعية رقم ١

الغاية من انشاء هذه الجزيرة هي زيادة طاقة الشحن من فرضة رأس تنورة ، وجعلها قادرة على استقبال كبريات ناقلات الزيت التي تزداد ضخامة يوما بعد يوم . وقد أقيمت الجزيرة في مياه عمقها ٩٠ قدما . الا انها في الوقت الحالي لا تستطيع استقبال الناقلات التي يزيد غاطسها على ٥٥ قدما ، وذلك لأن القنال التي تمر عبرها الناقلات في طريقها الى الفرضة يبلغ عمقها ٦٠ قدما فقط . وهناك دراسات تجرى الآن لجعل الجزيرة تتمكن من تعبئة الناقلات التي يزيد غاطسها على ما ذكرنا ، وذلك بتعميق القنال المؤدية الى الجزيرة الى عمق مياه مراسي الجزيرة نفسها ، أو اقامة فرضة أخرى في مكان آخر من الخليج حيث تستطيع الناقلات العميقة الغاطس الوصول بسهولة .

تم صنع الجزيرة الأولى التي أطلق عليها اسم «الجزيرة الاصطناعية رقم — ١» في أحد أحواض بناء السفن في بريطانيا ، وذلك في سبتمبر عام ١٩٦٤م . وبلغت تكاليف انشائها حوالي ٤٥ مليون ريال سعودي (١٠ ملايين دولار) . وفي الثاني والعشرين من الشهر نفسه أبحرت هذه الجزيرة الى روتردام ، ومنها الى الخليج العربي مارة بموانىء أوربية عديدة حتى وصلت الى البحرين ، حيث أضيفت اليها بعض المنشآت (راجع قافلة الزيت عدد جمادى الثانية



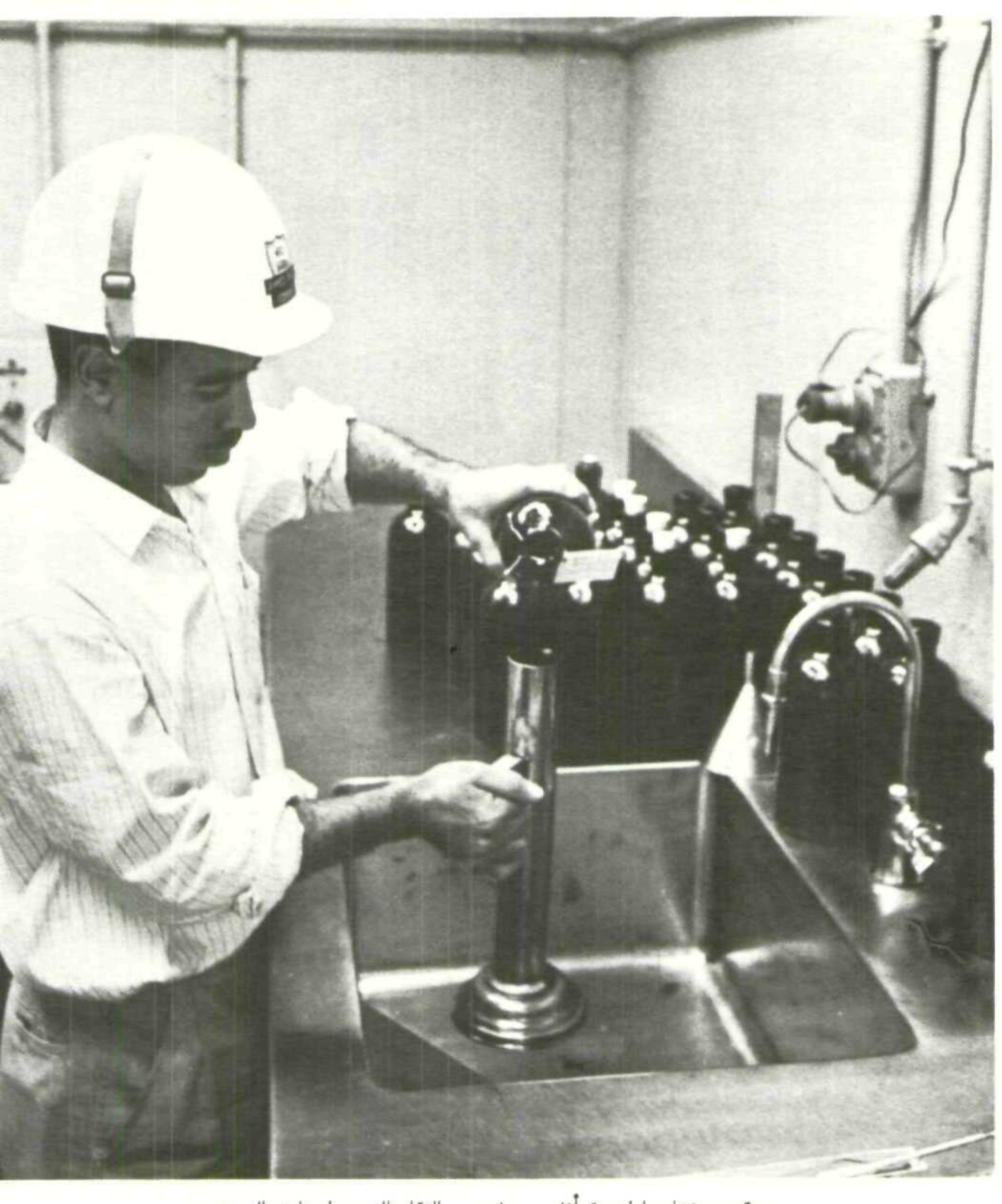
في كل مرسى من مراسي الجزيرة أربع أذرع للتعبئة احداها لوقود الناقلات والثلاث الباقية للزيت الخام .

١٣٨٥) . ثم تابعت الجزيرة رحلتها الى رأس تنورة . وهناك جرى تثبيت دعائمها البالـغ عددها ٤٦ دعامة ، في البحر ، واستغرقت عملية التثبيت هذه زهاء ثلاثة أشهر ، فثبتت المنصة الرئيسية على أربع دعائم ضخمة قطر الواحدة منها ٤٨ بوصة ، بينما ثبتت المصدات (وهي ألواح خشبية متعامدة مع سطح الماء) « Breasting Dulphins » ، ومنصات الربط على دعائم تبلغ أقطارها ٣٠ بوصة . ويوجد في كل من مرسيي الجزيرة أربعة مصدات تستند اليها السفن أثناء رسوها ، وفي الوقت نفسه تحول دون ارتطام الناقلات بالجزيرة . وقد صممت هذه المصدات بحيث يكون من الممكن تحريكها في مجال أقصاه ستة أقدام .

ويبلغ طول الجزيرة الاصطناعية رقم — ١ ، حوالي ٣٨٢ مترا ، وهي تتلقى الزيت الخام من الرصيف الشمالي عبر ثلاثة خطوط أنابيب قطر كل منها ٣٠ بوصة ، بينما تتلقى وقود الناقلات عبر خط أنابيب قطره ٢٢ بوصة . وتبلغ طاقتها التحميلية القصوى من المرسيين حوالي ١٨٠٠٠٠ برميل من الزيت الخـام في الساعة ، ولكن بعد اتمام مشروع التوسعة الجديد ، وانشاء الجزيرتين الاصطناعيتـين (٢ و٣) سيمسي طول الجزر الاصطناعية الثلاث معا حوالي ١١٧٧ مترا ، وتمسي طاقتها التحميلية القصوى حوالـي ٥٠٠٠٠٠ برميل في الساعة .

الجزيرتان الاصطناعيتان (٢و٣)

نظرا للضغط المتزايد على الجزيرة الاصطناعية رقم — ١ ، وتحسبا لما سيؤول اليه حجم ناقلات الزيت في المستقبل من الضخامة والكبر ، تقرر في العام المنصرم اضافة جزيرتين اصطناعيتين أخريين للجزيرة الاصطناعية رقم — ١ ، وبذلك تصبح مرافق هذه الجزر الثلاث قادرة عـلى استقبال ست ناقلات وتعبئتها في آن واحد . وهاتان الجزيرتان الجديدتان تشبهان في تصميمهما الجزيرة الاصطناعية رقم — ١ إلا انه أضيفت اليهما بعض التحسينات . وقام ببناء هيكـلي الجزيرتين الاصطناعيتين رقم ٢ و ٣ « حوض هلينك لبناء السفن » الواقع بالقرب من مدينة أثينا في اليونان ، بينما قامت « شركة ديلونغ هرسنت كانو لبناء القوارب في البحرين » بمد التوصيلات الكهربائية وأنابيب المياه وغير ذلك من الانشاءات الفرعية الضرورية .



يقوم مشغلو الجزيرة أنفسهم بفحص الثقل النوعي لعينات الزيت .

وقد وصلت الجزيرة الاصطناعية رقم — ٢ الى رأس تنورة في اكتوبر من العام المنصرم ، وأسند الى شركة «ديلونغ هرسنت كانو» أمر تثبيتها في المكان المعد لها وربط مرافقها بمرافق الجزيرة الأولى . ويتوقع أن تباشر هذه الجزيرة عملها خلال النصف الأول من العام الحالي أثر انتهاء الغطاسين من مد أنابيب تعبئة الزيت الخام الثلاثة وأنبوب تعبئة وقود الناقلات الموجودة على الجزيرة الاصطناعية رقم — ١ ، وجعلها تغذي أيضا الجزيرتين الاصطناعيتين رقم ٢ و ٣ . ويبلغ طول هذه الأنابيب حوالي ٦٠٠٠ قدم من الأنابيب البالغ قطرها ٣٠ بوصة وحوالي ١٣٠٠ قدم من الأنابيب البالغ قطرها ٢٢ بوصة .

أما عن الجزيرة الاصطناعية رقم — ٣ ، فقد تم ، حتى كتابة هذه السطور ، بناء الأرصفة وتثبيت منصات الربط التابعة لها . وبمجرد الانتهاء من اقامة الجزيرة الاصطناعية رقم — ٢ وتثبيتها سيشرع في اشادة مرافق الجزيرة رقم — ٣ ، حتى يتسنى لها مباشرة العمل في الموعد المحدد لها ، وهو الربع الأخير من العام الحالي . هذا ويجري العمل حاليا على مد خط تعبئة جديد ، مغمور بالمياه ويبلغ قطره ٣٦ بوصة الى الجزر الاصطناعية الثلاث وذلك لرفع طاقة التحميل .

ويعمل حاليا في الجزيرة الاصطناعية رقم—١ ، ٢٤ موظفا من العرب السعوديين يتناوبون العمل ليل نهار . وتضم كل نوبة رئيس مشغلين ومشغلا

مجرد انتهاء الغطاسين من مد الأنابيب وتوصيلها ، تصبح الجزيرة الاصطناعية رقم – ٢ قيد الاستخدام .

وستة موظفين لأعمال الربط والتعبئة . ومتى أصبحت الجزر الثلاث تعمل معا ، يكون في استطاعتها استقبال ست ناقلات في آن واحد ، ويتوقع حينذاك أن يزداد عدد الموظفين العاملين عليها الى ستين موظفا ، ١٥ موظفا في النوبة الواحدة ، هم عبارة عن رئيس مشغلين ، وستة مشغلين ، وثمانية موظفين لأعمال الربط والتعبئة . وتتلخص الأعمال التي يقوم بها موظفو الجزيرة بصورة عامة ، في استقبال الناقلات وربطها بالجزيرة حسب الأصول ، وتعبئتها بالزيت الخام والوقود حسب الطلب ، وكذلك مراقبة جميع العدادات والمنشآت الموجودة على متن الجزيرة ، وأخذ عينات من الزيت من خزانات الناقلات وفحصها في المختبر . أما رؤساء مشغلي الجزيرة ، فبالاضافة الى الاشراف على مختلف عمليات الربط والتعبئة التي يقوم بها الموظفون ، يقومون أيضا بتفتيش الناقلات تفتيشا دقيقا للتأكد من سلامتها ، وفق الأنظمة المرعية ، قبل شحنها بالزيت .

عود على بدء

ما ان انتهت جولتي الماتعة على متن الجزيرة واستقليت « تاكسي الجزيرة » حتى بدأت أفكر في مشاق رحلة العودة ، بيد أنني ما بدأتها حتى أفرخ روعي ، فقد كان البحر هادئا والريح رخاء .



لا أهجو شاعرا هذا شعره

• هجا الشاعر الأحوص رجلا كثير المال فغضب من ذلك ، وخرج حتى قدم على الفرزدق بالبصرة . فقال الفرزدق : ممن أنت ؟ قال : من الأنصار ، قال : ما اقدمك ؟ قال : جئت أستجير بك من رجل هجاني ، قال : ومن هو ؟ ، قال : الأحوص . فأطرق الفرزدق ، ثم قال : أليس هو الذي يقول :

الا قف برسم الدار فاستنطق الرسما
فقد هاج أحزاني وذكرني نعما

قال : بلى ، قال : والله لا أهجو رجلا هذا شعره .

فخرج الرجل واشترى هدايا أفضل ، فقدم بها على جرير ، فأخذها واستفهم منه عن مقصده : فلما سمع جرير قوله أطرق ثم قال : أليس الأحوص هو القائل :

ولكن بيتي ان سألت وجدته
توسط منها العزّ والحسب الضخما

قال : بلى ، قال : فلا والله لا أهجو شاعرا هذا شعره .

• **قال أبو الحسن بن علي المدائني :** غدا اعرابي من طيء مع امرأة له ، فاحتلبا لبنا ثم قعدا يتمجعان (أي يأكلان التمر ويشربان عليه اللبن) . فقالت له امرأته : أنحن أنعم عيشا أم بنو مروان ؟ قال : هم أطيب طعاما منا ، ونحن أردأ كسوة منهم ، وهم أنعم منا نهارا ، ونحن أظهر منهم ليلا .

• **قال اعرابي لرجل مطله في حاجة :** ان مثل الظفر بالحاجة تعجيل اليأس منها اذا عسر قضاؤها ، وان الطلب وان قلّ أعظم قدرا من الحاجة وان عظمت ، والمطل من غير عسر آفة الجود .

• **قيل لبعض العلماء ؟ من شر الناس ؟ قال :** من لا يبالي أن يراه الناس مسيئا .

الليل

للشاعر انور العطار

هو ذا اللّيلُ البهيُ الإطارْ … قد احتَوَى الشّمْسَ وَضَمّ النّهارْ
ألقىَ وِشاحاً حافلاً بالرّؤى … عليه منْ سِحرِ الدّراري نِثارْ
طَفَتْ عليه صُوَرٌ حُلْوَةٌ … مَنسوجةٌ مِنْ بهجٍ وَافْتِرَارْ
تلألأتْ أنْجُمُهُ بالسنا … ورُصّعَتْ أفْلاكُهُ بالنّضارْ
وَهَبّ مَلْكُ اللّيْلِ يُغْري الرّبا … وَيفْتِنُ النهرَ ويُصبي الدّيارْ
وَزَوْرَقُ الأحْلامِ في زَهْوِهِ … حامَ على عَذْبِ مُناهُ وَدَارْ
تَحْمِلُهُ الموجَةُ ثرثارَةً … مُنْشَدَةً في صُعُدٍ وانْحِدَارْ
والشّطّ مغمورٌ بأصدائِهَا … مَشَتْ عليهِ خشيَةٌ وانْكِسَارْ
والنّخْلُ مفتونٌ بِلحنِ الهَوى … ماجَ به الشوقُ طويلاً ومَارْ
يُصْغِي إلى الأنْغامِ عُلْوِيّةً … وما غِناءُ الحُبّ إلاّ ابْتِكَارْ

—○○○○—

تَوَهّجَتْ فَحْمَةُ هذَا الدّجَى … فَشَاع في الآفاقِ منها شَرَارْ
يا حُسْنَهُ من عالَمٍ ساحِرٍ … يكتَتِمُ النّجْوى ويُخْفِي السّرَارْ
لذّ حديثُ النفسِ في صَمْتِهِ … وَطَابَ للأحْبابِ فيهِ الحِوار
باحَ لَهُ القَلْبُ بِأشْجَانِهِ … وما يُعَانِي مِن رَسِيسِ الأوارْ
والمُقلَةُ الحمراءُ من سُهْدِهَا … ناجَتْه لَهْفَى بدموعٍ غِزَارْ
الأملُ الرّقافُ عنها انطَوَى .. … وبُلْبُلُ الحُبّ تَغَنّى وطَارْ

—○○○○—

يَا هَاجِرِي لمْ تَكْتَحِلْ مُقْلَتي … بالغَمْضِ مُذْ غِبْتَ وَشَطّ المزَارْ
القلبُ مِن بعدِكَ مِلكُ الجَوَى … مُعَذّبٌ مُخْتَطَفٌ مُسْتَطارْ
حَذِرْتُ أنْ نُرْمى بِسَهْمِ النّوَى … فلم يُفِدْ إلاّ الرّزايا الحِذَارْ
وحَظّنَا العاثرُ أوْدى بِنا … وما يُرَجّى أنْ يُقالَ العِثارْ
هل غَشِيَتْنا عادِيَاتُ الرّدى … أم هَلْ بَغى الدهرُ علينا وجَارْ
أذّكرُ العَهْدَ فأبكي أسىً … وما حَيَاةُ القلبِ إلا اذّكَارْ
اللّيلُ ذو الأنجُمِ أفْنَيْتُهُ … مِنْ شِقْوَتي في رِقْبَةٍ وانتِظَارْ
والسّهدُ أضْنَانِي ولولاَ الهَوَى … ما بِتّ نَهْبَ الشّجْوِ رَهْنَ التّبَارْ
أقْتَاتُ بالوَهْمِ الذي مَضّني … ولَمْ يَدَعْ للرّوحِ إلاّ البَوَارْ
تَنَاثَرَ الماضِي سوى ذكرةٍ … وغابتِ الدنيا سِوَى رسْمِ دَارْ

—○○○○—

السامِرُ انْفَضّ بألاّفِهِ … وَغَابَ في حلْمٍ شَهِيّ الإطَارْ
والرّكْبُ أغْفَى بعد طُولِ السّرَى … ولَمْ يَكُنْ يُلْمَحُ في الأرضِ سارْ
ونامتِ الأدْؤرُ حتى الكُوى … جَلّلَهَا النّومُ بضَافِي الدّثَارْ
الأفُقُ محْجوبٌ بِسُحْبِ الدّجَى … والكَوْنُ مَسْدُولٌ عليهِ سِتَارْ

اسطورة حديثة

النجمة والفتى عازف القيثارة

بقلم الاستاذ اديب نايف دياب

لاح الأفق الغربي لعيني الفتى الصغير عندما كان يتمشى على ساحل البحر. رآه ، وقت الغروب ، وقد اتخذ من الضياء وشاحـــا . .

ارتعش قلب الفتى فرحة ، وغرق في انبهار غريب ، ومن خلال الدهشة التي احتوته تساءل : « ماذا يوجد وراء الأفق . . سأذهب يوما الى هنـــاك ؟ »

وغمغم والده ، البحار العجوز : « لا يا ولدي ، الذين ذهبوا الى هناك لم يعودوا » ، لكن الفتى الجرىء كان قد نشر الشراع ، ومضى حثيثا ، يريد جوابا للدهشة المتسائلة التي اعترته . . زاده كان قيثارة ، وكتابا ، وأحلامــا .

ومن خلال الدموع ، صاح البحار العجوز : متى تعود ؟ . . وحملت الريح صرخة العجوز ، لكنها أضاعتها عند صخور الشط ، وهبّت على شراع الفتى وحملته الى عرض البحر .

ليال طوال مرّت على الفتى وهو ماض ، والشوق رائده .

وذات مساء ، رأى في السماء المرصّعة نجمة تلوح بها في بهاء فريد . رآها ترنو الى شراعه ، تغامزه . وبرشاقة الفارس ، أمسك الفتى قيثارة وغنّى للنجمة أحلى الأشعار وحدّثها عن أحلامه ، وعن أرض يأمل أن يحلّ بها . . أرض لا تغيب عنهـــا الشمس ولا يرتحـــل عن رباهـــا الربيع .

وردّت النجمة بومض غريب ، كالابتسام .

وفي وحشة ليالي البحر الطويلة ، أسرت النجمة خيال الفتى ، فما عاد يرى سواها . كل مساء صار ينتظر ومضها ، فإذا ما شع عانق القيثار واستل لنجمته من الأوتـــار ألحانا عذابا . !

« يا نجمتي الفريدة ! لو كنت أستطيع أن أزيّن لك شراعي العتيق بالزنابق والورود وألوان قوس قزح السبعة . . لفعلت ، لكنني فتى فقير لا أملك سوى حلم الجواب على سؤال عنّ لي . . فلنمض معا ، يا نجمتي ، نقطع الطريق الطويل الى الأفق الغربي !! .

ومن شجو الغناء كانت الأمواج تتعانق على الشطآن المهجورة ، وتهمس للأصداف : « فتى حالم ، لكنما فؤاده في مثل براءة الفجر . »

وأما طيور البحر فقد أنست الى مناجاة الفتى ، فصاحبت شراعه أسرابا وكانت تلوي أعناقها وتحدث : « فتى غرير ، لكنما فؤاده قــد تألق من لوعة الأشواق » .

ورسا شراع الفتى على شط جزيرة بعيدة ، وظلّ هناك يقطع الليل بألحان الحنين . نسي الأفق المفتون ، والسؤال والجواب . وما عاد الأفق لناظريه كما كان بالأمس . . بعيد هو الآن ، ودونه متاهات الضباب والغيوم .

ظلّ يغني هناك ، ونجمته تردّ ومضا غريبا كالابتسام .

ومـــرّت ليال .

وفي أمسية أتخمها الملل فتح الكتاب ، فقرأ فيه أن النجوم صخور ، وأنها جامدة ، لا تسمع غناء ولا تهتز لمشاعر أو أحاسيس .

وصرخ كالملسوع : « لا . . لا »

وردت لياليه الطويلة : « بلى ، هي كذلك » .

من فرط أساه حطم القيثار على أقرب صخرة ، وانتحب : « كنت أغني ، اذن ، للصخور . . للعدم »

يا ريـــاح البحار للمي لي أغنيـــاتي
أنا هنا للضياع علامة ، وشراعي قـــد مزقه الانتظـــار

مرّت سنون . . وشعر البحار العجوز بدبيب الموت يسري في عظامه ، وكان شتاء ذاك العام قارسا كالموت ، فاشتاق لرؤية الفتى الذي مضى في رحلة طويلة . . يريد أن يجتاز حائط الضباب الى نضرة الآفاق .

ومضى فتية من القرية يبحثون عن الفتى في جزائر البحر البعيدة .

وفي جزيرة منسية رأوه .

مرّ بهم عابرا ، على حين بغتة ، وما حياهم . لكنهم قرأوا في عينيه شيئا عميقا كدفء السلام .

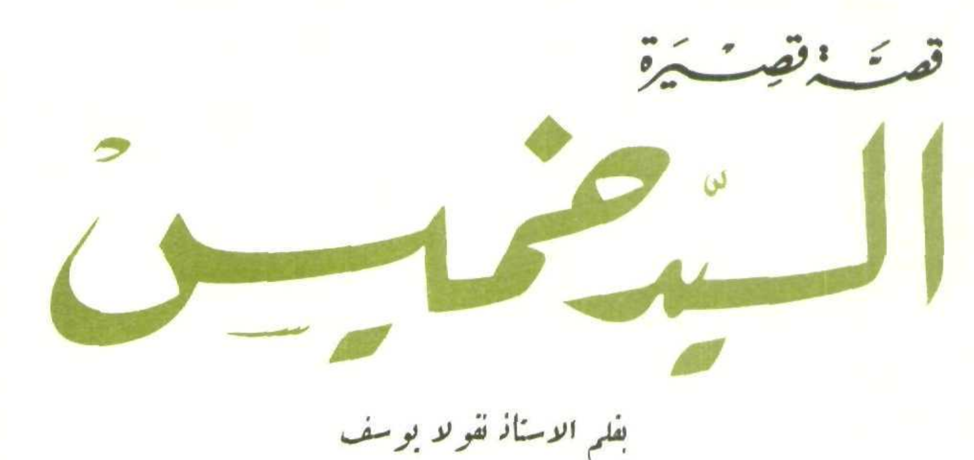
وأسرعوا يريدون اللحاق به ، لكنه كان قد غاب وراء منعطف الطريق . وعندما وصلوا المنعطف ما وجدوه ، لكنّهم رأوا ظله يمتد اليهم آتيا من بعيد ، وينتهي عند زهرة غريبة الألوان قد انبثقت من جانب صخرة .

شموها ، ويا لعذوبة الشذى !

وقفوا مأخوذين .

وهبت نسمة ريح ، فتساقطت من الزهرة ورقة يانعة . اقتربوا منها فقرأوا عليها حروفا قد كتبت بلون البنفسج ، وتقول :

« ها هي الحياة . . زهرة غريبة الشذى ، ورحلة في البحث عن جواب لسؤال ، وظل » .



بقلم الاستاذ نقولا يوسف

كان على «السيد خميس» متى همّ بالذهاب الى عمله في كل صباح ، أو بالاياب الى بيته بعد الظهر ، أن يجتاز الحارة الطويلة التي سكنها منذ سنوات ، وأن يمرّ بالدكاكين المفتوحة على الجانبين . ثم بالمقهى الواقع عند مفترق الطريق ، والغاصّ بمختلف ألوان الناس . وهنا يتردد برهة ثم يهرول في مشيته ، موسعا خطاه وخطى مظلّته العتيقة التي لا تفارق يده .

كان يشعر آنئذ بنظرات الجالسين عند أبواب المقهى ، مصوبة نحوه كالسهام ، تتعقبه في اصرار ، وتتفحصه في سخرية ، وتستكشف ما ظهر منه وما بطن . وكانت تصدمه همساتهم وتعليقاتهم وهي تتذبذب حوله مثل موجات لاسلكية تطنّ في أذنيه .

وعلى الرغم من اعتياد السيد خميس هذه النظرات الكاشفة ، وتلك التعقيبات اللاذعة ، والتي لم يخفف وقعها من طنين البعوض ولسعاته ، ما كان ليجد في نفسه القدرة على تجاهلها والضرب بها عرض الحائط ، فهي في اعتقاده تطفّل من هؤلاء الناس ، وتدخّل منهم فيما لا يعنيهم وهو الرجل الذي اختار لنفسه المسالمة في العزلة ، والكرامة في الاعتكاف ، متجنبا كل ما يعود عليه أو على غيره بالضرر .

وعاد السيد خميس في ذلك اليوم من عمله ، متبرما من فضول الناس ، ولجأ الى بيته في الحارة ، وأغلق عليه بابه ، وأعد طعامه ، وتمدد واسترخى ، مستمتعا في خلوته بالراحة والسلام . وفي الليل راح يتصفح عددا من كتبه القديمة ، ثم فتح ديوانا من الشعر ، وأخذ ينشد أبياته بصوت عميق ، حتى أسلمه النوم الى عالم الرؤى والأحلام ، فاذا به وقد اعتزل الوظيفة وأصبح يعد بين «أرباب المعاشات» ، وانتقل من هذا الحيّ كلّه الى قرية آمنة مطمئنة ، يقضي فيها بقية العمر في كنف الطبيعة السمحاء ، والحقول الخضراء ، بعيدا عن فضول الناس وألسنتهم .

والواقع أن أقاويل الناس وشائعات أهل الحارة عن السيد خميس كانت أكثر تشعبا وأوسع دائرة مما ظنّ وتخيّل . فهم وقد تملكتهم الحيرة في أمره ، ولم يجدوا سببا معقولا لعزلته ولنفوره من مخالطتهم ومعاشرتهم كما يفعل سائر الناس ، راحوا يعللون تصرفاته ، ويضيفون اليها على مرّ الأيام ألوان النوادر والقصص . وكان كلما أوغل في الاحتجاب ، زاد في عيونهم غموضا ، وأفاضوا في تعليلهم شرحا وتفصيلا .

وكانوا قد انقسموا في شأن السيد خميس شيعا ومذاهب ، فذهب فريق الى انه ما تجنّب الناس والتمس العزلة ، الا لبخله وتقتيره ، بخلا لا ينافسه فيه واحد من بخلاء الجاحظ . كيف لا وهو الشيخ الجامد الكفين ، الشحيح النفس ، من لم يتزوج قط حتى لا تتضاعف نفقاته ، ومن لم يجلس في مقهى كيلا يدفع ثمن ما يشرب ، أو يزور الجار فيرد له زيارته بمثلها ، أو يشتري سترة جديدة تكلفه باهظ الثمن ، وأخيرا فهو يكنز المال في مخابىء مستورة في بيته يقوم على حراستها بنفسه ليلا ونهارا !

غير أن فريقا آخر كان يؤمن برأي عالم نفساني من رواد المقهى ، وخلاصته أن السيد خميس مصاب بعقدة نفسية ، يرجح أن تكون الشعور بالنقص ، نقص ما يخفيه في نفسه ، ولا يحبّ أن يطلع الناس عليه ، فهو يخشى لقاءهم ، ويحتمي بصومعته من عيونهم ! وأما الجماعة التي تفردت بالقول بأن السيد خميس كان ولا شك مصابا بلوثة في عقله ، تدفعه الى الصمت الطويل ، والتوحد الشاذ ، والنفور من الناس — فكانت قلّة ترثي لحاله ، وتقنع بالنظر اليه للفرجة ، كلما وقعت عليه أبصارها ! غير أن عيال الحارة لم يكونوا كهؤلاء في رجاحة العقل . فاذا أهلّ السيد خميس في الطريق ، تجمهروا وراءه هاتفين : «العبيط .... العبيط !» .

ولكل شيء نهاية . وقد كرّت الشهور ، وحلّ أخيرا اليوم الموعود ، وبلغ السيد خميس الستين من عمره المديد ، وتحقق حلمه العتيد ، وأحيل الى المعاش ، وانقطعت صلتة بالوظيفة ، وقضى في عقر داره أياما يرسم خطة الهجرة ، ويدبر أمر الرحيل ، ويستعرض في مخيلته المدن والقرى التي زارها منذ سنين ، حتى أدّت به خاتمة المطاف عند بلدة صغيرة غير نائية ، كان قد أعجب يوما بهدوئها وبساطة عيشها ، وبما حولها من حقول فسيحة نضرة .

وذات صباح تسلل السيد خميس الى محطة السكة الحديدية ، واستقل القطار الى هذه البلدة ، فبلغها بعد ساعة . ودار يجوس خلال طرقاتها ، ويطوف بأطرافها ، باحثا عن المسكن المنشود ، والمعقل المقصود ، وساعده الحظ حين دلّه أحدهم على شقة أخلاها ساكنها الموظف المنقول منذ عهد قريب . وما رآها السيد خميس حتى راقت له ، وشاقه تفرّدها وسكونها . فبادر الى استئجارها ، وعاد أدراجه الى بيته القديم والدنيا لا تسع فرحته . وانهمك في لمّ متاعه وحسم أموره . وفي فجر يوم خرجت من الحارة سيارة تحمل أثقال الأستاذ خميس وممتلكاته الى مقره الجديد في البلد السعيد .

وما أن ألقى مهاجرنا مراسيه ، حتى نظم بيته ، واطمأن الى صومعته . ثم خرج الى شاطىء الترعة ليستمتع بدنياه الجديدة بين الخضرة والماء . وعاد في العتمة الى داره ، وأغلق بابه وفتح ديوانا شعريا ، وأخذ يترنم ويصدح ، والسكون يلفّه من كل جانب . فاذا انطلق ساعة في النهار ليشتري بعض حاجاته ، عاد أدراجه الى مكمنه متوقيا عيون الجالسين في المقهى وعابري السبيل .

ومرّ أسبوع على هذه الحال ، نعم فيه السيد خميس براحة البال . وبالبعد عن الأطفال ، ثم سمع ذات صباح طرقا خفيفا على بابه ، وفتح ليرى أمامه أمرأة فقيرة وراءها طفل متشبث بثوبها الأسود الفضفاض . وما وقع عليه بصرها حتى همّت بتقبيل يده ، ولسانها يلهج بالدعاء والثناء . وقبل أن يفيق الرجل من دهشته ، ويسألها عن حاجتها ، وقد خالها متسولة تسأل صدقة ، رآها تشير الى طفلها المريض الذي لم ينفع فيه دواء ولا علاج ، وقالت انها لا تطمع الا في بركة الشيخ و«سرّه الباتع» ، ويكفيها رقية

تعلّقها على جبين الطفل لتقيه من العين الحاسدة التي أصابته .

وعقدت الدهشة لسان السيد خميس ، وظلّ برهة طويلة يتأمل هذه المرأة العجيبة ، وقد تيقن من أنها ضلّت الطريق ، وطرقت بابا آخر . ومع ذلك فهي مجنونة تهذي ولا شك .

لهذا قال السيد خميس ، وهو يهمّ بقفل بابه ، والانسحاب الى محرابه : « لعلك تقصدين شخصا آخر ، أو بيتا آخر ؟ فأنا لست بالطبيب ولا بالرقّاء » قالت في توسل : « عفوا سيدي ، فأنت من أقصد ، وكلنا يعرفك . ألست السيد خميس ، الرجل الطيب ، المعروف بعلمه الكبير ».

وارتاع الرجل وقاطعها : « أي علم ؟! »

قالت في تلعثم : « أعني العلوم الخفية » .

وتأكد السيد خميس من اضطراب عقلها وبدأ يرثي لحالها ، وقال في هدوء : « أنا كما ترين أعيش وحدي ، ولست متزوجا ، ولا أتصل بأحد ، فمن أين أتيت بهذا الكلام » ؟ !

قالت : « أنا امرأة في حالي ، ولكني علمت من أهل البلد أنك رجل لا تؤذي أحدا وتحبّ الخير للناس . فجئت أطلب مساعدتكم لهذا الطفل المسكين ، رقية صغيرة أو تعويذة ، أعلقها على صدره فتشفيه من العين ! »

ولم يستبعد السيد خميس أن تكون هذه البلهاء قد استغواها أحدهم بخدعه ، أو يكون قد اتخذه هو مركبا لحيلة . وعلى كل حال فعليه أن يتخلص منها بوسيلة ما ، ويعود الى معتكفه في سلام . وكان قد خطر له أن يطردها ويغلق بابه في وجهها ولكن نظرة حانت منه الى هذا الطفل البريء الهزيل ، المنكمش خلف أمه ، أزالت من رأسه هذا الخاطر الشرير ، وودّ لو استطاع علاجه ومدّ يد المساعدة اليه . ولكن أين السبيل وهو لا يفهم الداء ولا الدواء ؟ فعرض على المرأة بعض النقود تستعين بها على علاج طفلها ، ولكنها أبت وأمعنت في الرفض ، وقالت انها ما أتت اليه لتستجدي المال ، وانما لترجو رقية من رقياته النافذة المفعول ، وله عند الله المثوبة والجزاء .

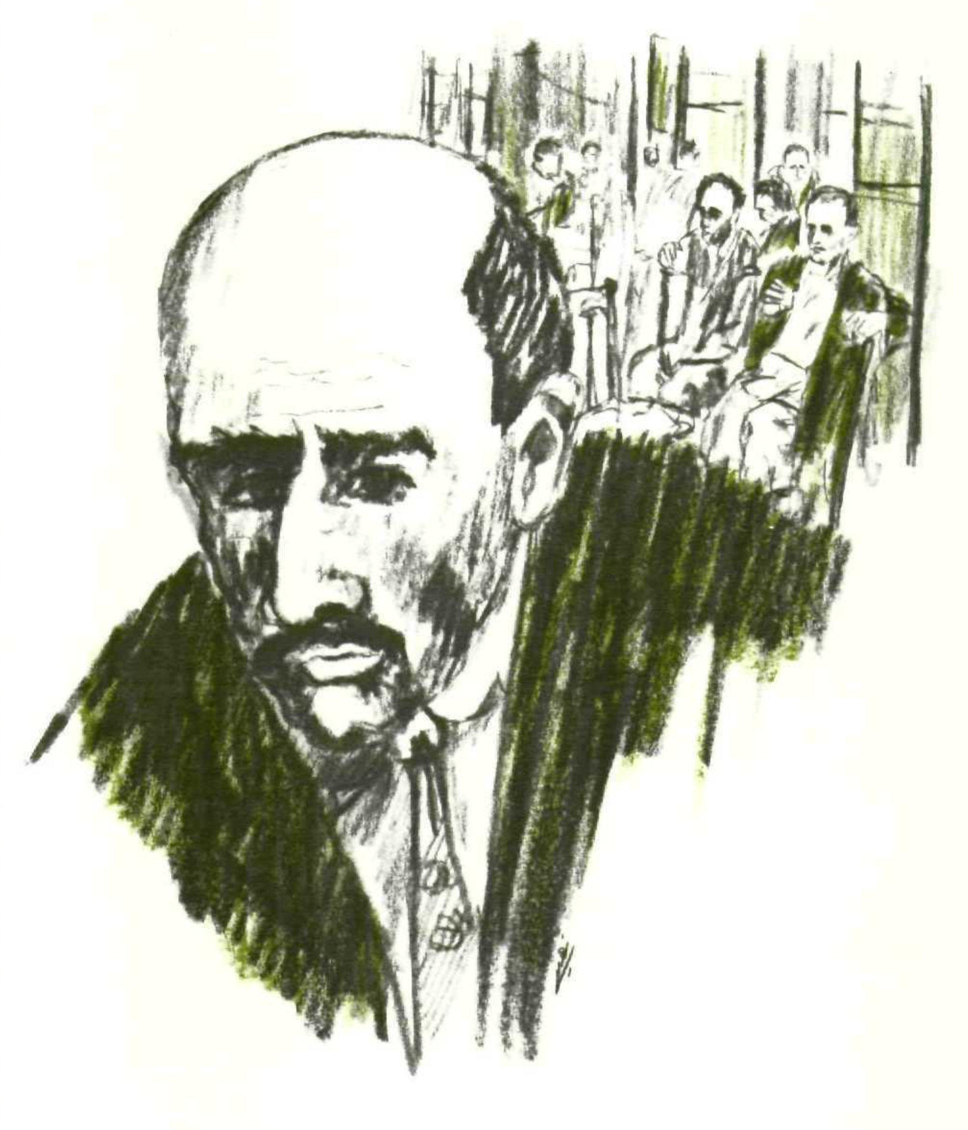
ونفد صبر السيد خميس ، وارتأى أن يقوم بعمل حاسم يريح به ويستريح ، فاستمهلها برهة ، وفتح أحد دواوينه الشعرية القديمة ، ونقل منه أبياتا في الصبر والاتكال على الله ، وطوى الورقة وأعطاها للمرأة . فطارت بها فرحا ، ولسانها يلهج بالدعاء والثناء .

واحتجب السيد خميس عن الأنظار أياما ، وتجنب المسير على ضفة الترعة ، ولم يبرح داره الا لحظات يشتري فيها حاجاته . وفي ذات مساء سمع قرعا على بابه ، وفتح ليرى امرأة أخرى تعيد على مسمعه كلمات المرأة السابقة ، وتتوسل اليه أن يعطيها رقية سحرية تعينها على الحمل حتى لا يتزوج بعلها من أخرى تعقب له ولدا . وخشي السيد خميس أن يطول الأخذ والرد ، ورأى أن يختصر الطريق ، فأعطى المرأة ورقة خط عليها بعض الأبيات الشعرية كما فعل بالأمس !

ولم يدر في خلد السيد خميس انه بهذه الحيلة التي لجأ اليها للتخلص قد انتشر أمره وذاع فلجأ اليه الناس أفواجا ، البعض يرجو منفعته بالدعاء ، والآخر للفرجة وحب الاستطلاع وهو لا يستطيع الافلات أو الاعتذار .

وانقسم أهل البلدة في شأن السيد خميس الى فريقين : فريق يشيد بمقدرته وموهبته الخفية ، ويتحدث عن رقاه الشافية ، وكراماته الوافية ، وفريق يرميه بالدجل والشعوذة ، واستغلال سذاجة البسطاء . وتخاصم الفريقان ، وأمسى نزاعهما حديث الركبان . وكانت الشهور القلائل التي قضاها الأستاذ خميس في تلك البلدة كافية لشيوع أخباره ، وتناول الناس تفاصيل حياته وأسراره ، ثم بلوغ أمره رجال الأمن ، ومحاكمته ، متهما بالنصب والاحتيال !

وفي فجر يوم كانت سيارة النقل تعود بأمتعة السيد خميس وأثاث بيته الى المدينة التي خرج منها منذ بضعة أشهر ، وفي شقة باحدى ضواحيها ، راح ينظم أمره ، ويعد صومعته ، وينشد أبيات الشعر في سكينة الليل بصوت عميق !



آراء في الذكاء ومقاييسه

بقلم : فضيله الهندي

استطاع الانسان اللثام عن نواح كثيرة من الطبيعة وسخرها لارادته . ولكن ما يعرفه عن الذكاء ما زال أقل بكثير مما يعرفه عن أمور عديدة من أسرار الطبيعة وغوامضها .

وتعريف الذكاء أمر صعب تضاربت من حوله الآراء والأقوال ، فهو يعني في نظر البعض مجرد حاسة لطيفة أو فطنة ، وفي نظر البعض الآخر يعني عقلية لاقطة حافلة بالمعلومات . ويراه آخرون انه القدرة على الحصول على تقارير دراسية ممتازة ، وآخرون يقدرونه بمدى تلاؤم استجابات الفرد في المواقف المختلفة ، في حين يراه آخرون انه قدرة الكائن الحي على التكيف للبيئة .

وأي كان ، فان الأشخاص الموهوبين يختلفون من حيث ما يملكونه من ذكاء ونوعه . ولم يتفق علماء النفس على ما اذا كان الناس يولدون مزودين بأنواع متباينة من القدرة العقلية ، أم ان قدراتهم المختلفة تنمو عن طريق الخبرة .

ويعتقد لفيف من علماء النفس البريطانيين بأن القدرة العقلية تكون عامة عند الولادة ، فالطفل يولد مزودا بذكاء عال قد يسهل عليه أن يصبح طبيبا بارعا أو سياسيا لامعا ، أو شاعرا مجيدا ، أو مهندسا مبدعا . والتدريب والخبرة هما اللذان يحددان نمط نموه الذهني .

ولكن معظم علماء النفس الأمريكيين يذهبون الى أن الذكاء لا يمكن أن يكون صفة عامة ، لا تنقسم ، وانما يتكون من عدد متنوع من القدرات المستقلة ، كالمهارات اللفظية والعددية والمكانية . أي انك وان اشتهرت بأنك « ممتاز في كل شيء » الا انك لا تخلو من الناحية العقلية من بعض مواطن القوة ومواطن الضعف ، فذكاؤك بهذا المعنى يقسم الى قدرات عقلية نوعية . ومن النادر جدا أن نصادف شخصا ممتازا في جميع القدرات بدرجة واحدة . خذ مثلا طارقا وسلوى . انهما من أذكى الطلبة في المدرسة ، وكل منهما يبلغ من العمر ١٤ سنة ، وهما متساويان من حيث القدرة العامة ، ولكل منهما سجل دراسي فائق . ولكن طارق ينطلق في حل واجبات الهندسة بسرعة فائقة ، فهو بذلك يملك قدرة خارقة على ادراك العلاقات المكانية ، ويتوصل الى حل التمارين قبل أن تكون سلوى قد انتهت من قراءتها . فهي وان كانت تتوصل الى الحلول الصحيحة أيضا ، في معظم الحالات على الأقل ، الا انها تبذل في ذلك جهدا كبيرا .

أما بالنسبة للغة العربية فالأمر يختلف ، فطارق يحصل على درجات طيبة في الموضوعات التي يكتبها لانها تخلو من الأخطاء النحوية وتمتاز بالوضوح والتسلسل المنطقي ، ولكنها تكون في الغالب جافة ومملة . أما الموضوعات التي تكتبها سلوى فتتألق فيها الأفكار المبتكرة والصياغة الجميلة ، فهي ممتازة من الناحية اللفظية . وهكذا فان طارق وسلوى يملكان قدرات مختلفة وان كانا على قدر متساو من الذكاء .

ولعلك تتساءل الآن عن هذه القدرات العقلية المختلفة التي يتكون منها الذكاء .. فإليك بعض هذه القدرات الأساسية التي أمكن تحديدها :

١ — الفهم اللفظي : أي القدرة على فهم الأفكار التي يعبر عنها بالألفاظ وهذه القدرة هامة في التعليم ، لأنها ضرورية للقراءة والاستماع .

٢ — الادراك المكاني : أي القدرة على التفكير في بعدين أو ثلاثة أبعاد ، وعلى تصور شكل الشيء عند ادراكه ، وتبين العلاقة التي تنتظم بها مجموعة من الأشياء . وتستخدم هذه القدرة في حل الألغاز العملية ، وهي أساسية في الأعمال الهندسية .

٣ — الاستدلال : أي القدرة على حل المشكلات المنطقية والتنبؤ بالنتائج ورسم الخطط ، والتكيف للمواقف المتغيرة .

٤ — المهارة العددية : أي القدرة على معالجة المشكلات العددية البسيطة بصورة تتميز بالسرعة والدقة .

٥ — الطلاقة اللغوية : أي سهولة الكتابة والحديث ، وهذه القدرة توجد بدرجة عالية لدى الذين يستطيعون الكلام والكتابة بسهولة . وهي تختلف عن الفهم اللفظي من حيث انها تتصل بسهولة استخدامك للألفاظ التي تدركها . في حين أن الفهم اللفظي يتضمن عدد الكلمات التي تعرفها .

٦ — الذاكرة : وهي القدرة على استرجاع الخبرات الماضية واستظهار المادة اللفظية . وهذه القدرة تبدو بالغة الأهمية في بعض الأحيان . وهي بلا شك ميزة كبرى في كثير من المواقف .

٧ — السرعة الادراكية : وهي القدرة على تبين تفاصيل أوجه الشبه والاختلاف بسرعة بين الأمور والأشكال المختلفة .

فالذكاء يتكون من تشكيلات مختلفة من هذه الصفات . وكثير من الأشخاص النابهين يكونون فوق المتوسط في بعض هذه القدرات العقلية الأولية دون البعض الآخر . والنادر منهم من يكون ذا حظ وافر في كل منها على حد سواء .

والذكاء لا يخص افرادا معينين ولا مكانا معينا ، فليست هناك أمة ، أو سلالة ، أو جنس ، أو طائفة اجتماعية تستأثر دون غيرها بالذكاء . ويتفق علماء النفس اليوم على أن القدرة العقلية شيء يولد مع المرء ، ولكنهم يضيفون الى ذلك أنه لا بد وأن يترعرع في بيئة ملائمة والا فسيتعرض نموه للمؤثرات الخارجية .

ويختلف الأفراد في الزمن الذي يستغرقه نموهم العقلي . وهناك حالات من النمو المبكر تلفت النظر ، مثال ذلك « موزار » الذي كتب سيمفونيته الأولى في سن السابعة عشرة . كما ان هناك حالات من النمو المتأخر مثل « ونستون تشرشل » الذي نمت مواهبه العقلية في وقت غير مبكر ، ولو اننا حكمنا عليه من أعماله المدرسية المبكرة لما أدرجناه في قائمة الممتازين .

اما قياس الذكاء فقد شغل الانسان منذ قديم الزمان ، واليوم أمكن ابتداع وسائل لقياس الذكاء والقدرات العقلية . وقد بدأت المحاولات القديمة للكشف عن أسرار الذكاء بقياس حجم الرأس ووزن المخ ، ولكن ما لبث ان ثبت أن الذكاء لا علاقة له بحجم الرأس أو وزن المخ .

وفي عام ١٩٠٥ استطاع اثنان من علماء النفس الفرنسيين هما « ألفرد بينيه » و « تيودور سيمون » أن يبتدعا مقياسا للذكاء ، فقاما بوضع طائفة من اختبارات الذكاء لتحديد العمر العقلي للشخص .

وقد قام الأمريكيون فيما بعد بتعديل اختبارات « بينيه وسيمون » ، وابتدعوا ما يسمى بنسبة الذكاء التي يقارن فيها العمر العقلي للفرد بعمره الزمني ، أو عمره الفعلي . وكذلك ابتدع آخرون من علماء النفس اختبارات جديدة ، أكثر دقة وإيجازا .

ومن الطريف في هذا الباب أن المخترع الأمريكي المشهور « توماس اديسون » كان لديه اختباره الخاص لقياس ذكاء الشبان الذين كانوا يتقدمون للامتحان بمختبره . فقد كان يدعوهم الى تناول الطعام معه ... فمن رآه يضيف الملح الى طعامه قبل تذوقه رفض طلبه . وقد فسر اديسون ذلك بأن الشاب الذي يطمح في أن يصبح عالما ممتازا لا بد وان يكون ذا فضول لاستطلاع العالم المحيط به ، وهذا يتضمن استطلاع مذاق الطعام قبل اضافة الملح اليه .

ومن التطورات الحديثة في قياس الذكاء اكتشاف ان الذكاء العام يمكن أن ينقسم الى عدد من القدرات العقلية الأولية ، وان كلا من هذه القدرات يمكن أن تقاس على حدة ، وان معرفة نوع القدرة العقلية التي يملكها المرء تعينه على اتخاذ قرار بشأن العمل الذي يختار مزاولته .

أما طريقة معرفة نسبة الذكاء في الفرد فتتم بقسمة عمره العقلي على عمره الزمني وضرب الناتج في ١٠٠ . والذي يحدد العمر العقلي للشخص هو مستوى المشكلات التي يستطيع حلها . فاذا كان (سعيد) مثلا يبلغ من العمر ١١ سنة ولكنه يستطيع أن يحل أنواع المشكلات نفسها التي يحلها الطفل العادي في سن الخامسة عشرة ، فان عمر سعيد العقلي يكون ١٥ سنة . وبقسمة ١٥ على عمره الزمني ١١ ، وضرب الناتج في ١٠٠ نجد أن نسبة ذكاء سعيد تكون حوالي ١٣٦ .

وقد تعارف العلماء على أن متوسط نسبة الذكاء هي ١٠٠ ، نظرا لأن نسبة ذكاء نصف الناس تقريبا تقع حول هذا الرقم . وذكر أحد أساتذة جامعة « كولومبيا » ان طفلا واحدا من كل مائة طفل تصل نسبة ذكائه الى ١٣٦ ، وهي النسبة التي ينبغي أن يصل اليها ذكاء الفرد كي يعتبر موهوبا في رأي غالبية العلماء ، وان طفلا واحدا من كل ألف طفل تصل نسبة ذكائه الى ١٥٠ ، وطفلا واحدا من كل عشرة آلاف تصل نسبة ذكائه الى ١٦٠ ، وثلاثة أطفال من كل عشرة ملايين تصل نسبة ذكائهم الى ١٨٢ .

وتحدد نسبة الذكاء لدى الكبار بطريقة أخرى . فالأشخاص ينضجون عقليا كما ينضجون جسميا ، وعندما يبلغ الشخص الخامسة عشرة من عمره يكون نموه العقلي قد اكتمل تقريبا . وبدلا من الطريقة الأولى يتم تقدير ذكاء الكبار بوجه عام عن طريق مقارنة درجات الفرد في الاختبار بدرجات نظرائه في السن .

ولكن الى أي حد يمكن الاعتماد على اختبار الذكاء؟ ان هذا يتوقف على أمور كثيرة .

فمن المؤكد ان زيادة بضعة أرقام أو نقصها في درجة ذكاء الفرد لا تؤدي الى فرق كبير ، نظرا لاحتمال عدم الدقة التامة في الاختبار ، ونظرا لأن درجة التركيز عند الاجابة تختلف لدى الفرد الواحد من وقت الى آخر . فقد يكون مصابا بصداع ، أو توتر عصبي ، أو منشغل الذهن بأفكار أخرى عندما يؤدي الاختبار ، وعندئذ يحتمل أن تنخفض الدرجة التي حصل عليها عما ينبغي أن تكون عليه .

وقد وضعت أخيرا اختبارات غير لفظية لقياس ذكاء الأشخاص الأميين الذين كانوا يدرجون في عداد ذوي العقول الضعيفة عند اجراء الاختبارات المألوفة والتي تعتمد على معرفة القراءة والكتابة .

وبعد ، فان نسبة الذكاء العالية ليست جواز مرور الى النجاح سواء في العمل أو في التعلم . ان الذكاء وحده لا يكفي .. بل يتساوى معه في الأهمية وجود الحافز والدافع على الافادة من الذكاء .

المعهد الصحي في الهفوف

« درهم وقاية خير من قنطار علاج . »
قول مأثور منذ أقدم العصور يبين مقدار ما كانت المجتمعات العربية في عصورها الذهبية تولي الوقاية الصحة من تقدير واهتمام . وعلى توالي العصور وتعاقب الأجيال تبنت معظم الأمم هذا القول المأثور فاتخذته شعارا حيا في نشر الوعي الصحي بين أفراد مجتمعاتها . وليس أدل على انتشار هذا الوعي في البلدان النامية من قيام المعاهد الصحية والمستشفيات الطبية . والمملكة العربية السعودية ، اذ تشهد اليوم انطلاقة واسعة في مختلف الميادين ، لا تألو جهدا في ايلاء الناحية الصحية كبير عنايتها وبالغ أهميتها للمحافظة على سلامة مواطنيها ، وبذلك عمدت الى اقامة معاهد صحية لتخريج عدد كبير من الموظفين الصحيين الذين يستطيعون تعميم الوعي الصحي في المجتمع ليجري توزيعهم بعد تخرجهم على البلديات والمستشفيات والمحاجر الصحية ، كموظفين فنيين يدركون المسؤولية الملقاة على عواتقهم ،



هيئة المعهد في اجتماع اداري .

ويعملون مخلصين في سبيل نشر الوعي الصحي بين الأهلين واقناعهم بضرورة العمل بموجبها . ومن بين المعاهد التي أقيمت مؤخرا المعهد الصحي في الهفوف .

تأسيس المعهد

بعد نجاح المعهد الصحي في الرياض ، وتخريجه نخبة ممتازة من الطلاب الذين يعول عليهم في القيام بالواجبات التي تلقى على أكتافهم ، رأت الحكومة أن تقيم معاهد مماثلة في مناطق أخرى من المملكة ، وذلك نظـرا للزيادة المطردة في عدد الراغبين في الانتساب ، وللحيلولة دون تجشمهم عناء السفر من منطقة الى أخرى . وهكذا بعد سنوات قليلة أنشأت وزارة الصحة معهدا مماثلا في جدة ، لطلاب المنطقة الغربية ، ثم أنشأت المعهد الصحي في الهفوف الذي عهد اليه تدريب طلاب مـن المنطقتين الشرقية والشمالية .

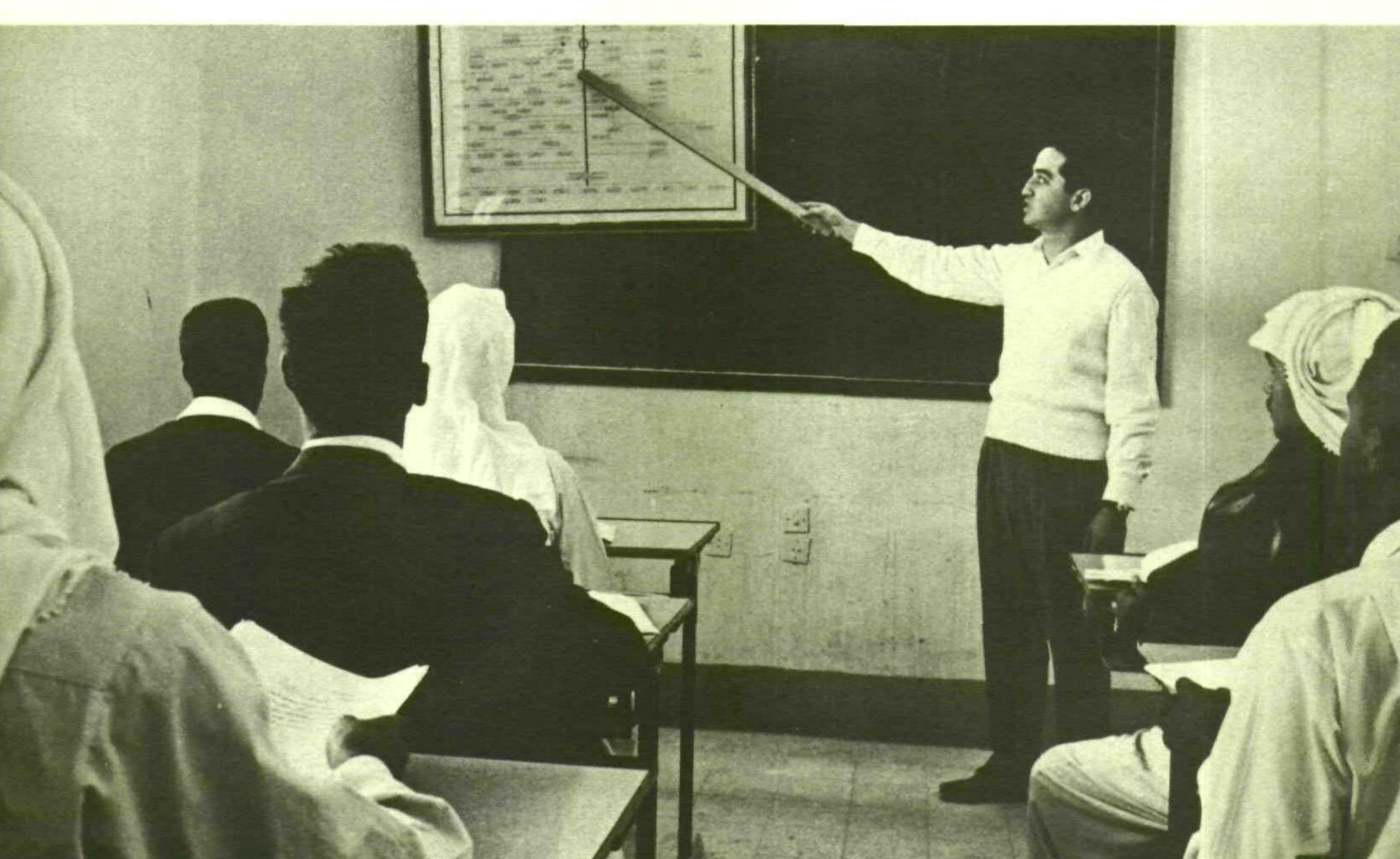
افتتح معهد الهفوف في السادس عشر من جمادى الثانية عام ١٣٨٥ هـ . وقد قام بقص شريط الافتتـاح معالي وزير الصحـة . وحضر الاحتفال جمع غفير وعدد غير قليل من الشخصيات البارزة يتقدمهم سمو الأمير عبد المحسن بن جلوي ، أمير منطقة الإحساء . وبعد الافتتاح بوشرت الدراسة في المعهد وكان عدد الطلاب المنتسبين اليه في عامه الأول ٤٨ طالبا ، بينما ازداد عددهم في العام الحالي الى ٦٤ طالبـا .

موقع المعهد

يحتل المعهد حاليا الجناح الشمالي مـن مستشفى الملك فيصل في الهفوف ، وهو تدبير موقت ريثما تقوم الوزارة بإشادة بناء خاص للمعهد يتسع لحوالي ٢٥٠ طالبا . وسيخطط البناء تخطيطا يلائم ما يحتاجه المعهد الداخلي بجميع مرافقه ، كجناح للنوم ومطعم ومطبخ ومكتبة ومختبر وغرفة ألعاب وقاعات دراسة جيدة الأثاث والانارة والتهوئة وملاعب وغير ذلك . وبما أن الجناح الذي يحتله المعهد حاليا صغير جـدا ، لذلك يتوقع أن يشرع في بناء مبنى المعهد الجديد في أسرع وقت ممكن لا سيما وان جميع التصاميم قد درست ، وأصبحت جاهزة للتنفيذ .

طلاب المعهد والدراسة فيه

يقسم طلاب المعهد من حيث نوع الدراسة الى قسمين : المراقبون الصحيون ، والمساعدون الصحيون . فمدة دراسة المراقبين الصحيين سنتان ، يتلقى الطالب خلال سنة ونصف السنة منها دروسا نظرية في المواضيع التالية : الدين والقرآن الكريم ، والاسعاف الأولي ، والتشريح ، والعلوم العامة ، وصحة البيئة ، واللغة الانجليزية والرياضيات ، والأمراض السارية ، والتثقيف الصحي ، ووسائل الايضاح ، والحشرات ،



درس في الادارة العامة يقدمه عصمت حلاوة أستاذ الاحصاء والادارة العامة في المعهد .



الأستاذ علي حسن ، مدرس التمريض في المعهد ، يدرب المساعدين الصحيين على مختلف عمليات الاسعاف الأولي .

والتغذية ، وصحة الطعام . أما خلال نصف السنة الأخير ، فيعمد الى اعطاء الطلاب دروسا في مبادىء الادارة وعلم الاحصاء ، وفن التمريض ، والصحة البيئية ، ومكافحة الحشرات والقواقع . وأثناء هذه المدة تكون معظم الدروس تطبيقية وعملية أكثر منها نظرية . ولدى انتهاء الدراسة ونجاح الطالب في اجتياز الفحص النهائي يعين في احدى الدوائر الحكومية التالية : الحجر الصحي ، أو مكافحة الملاريا ، أو في احدى البلديات . أما المساعدون الصحيون ، فتبلغ مدة دراستهم ثلاث سنوات ، يتلقون في السنة الأولى منها دروسا في الدين ، وفي مبادىء العلوم ، والجراثيم والطفيليات ، والاسعاف الأولي ، والرياضيات ، واللغة الانجليزية ، ومبادىء أولية في فن التمريض . وفي السنة الثانية يتلقون دروسا في الدين ، والأمراض العامة ، والأمراض السارية ، والتمريض ، والصحة البيئية ، والتغذية ، والاحصاء ، وعلم الادارة ، والتثقيف الصحي ، والعلاقات الانسانية ، وفن الأدوية ، والحشرات الطبية ، بالإضافة الى اللغة الانكليزية . أما في السنة الثالثة ، فيبدأ التدريب النظري والعملي في مجال تخصص كل طالب . والمساعد الصحي يستطيع أن يختار موضوع التخصص الذي يروق له . فهو يستطيع أن يكون اما مساعد صيدلي ، أو مساعد خبير أشعة ، أو مساعد فني مختبر أو مساعد طبيب في غرفة العمليات ، أو مساعد لطبيب التخدير ، حسب رغبته وميله . وعلاوة على دروس التخصص يتلقى المساعدون دروسا في الدين واللغة الانكليزية والمصطلحات العلميـــة .

وقوانين المعهد صارمة حازمة لا تدع للطالب مجالا للتكاسل ، اذ أن الطالب الذي يرسب في أكثر من مادتين ، يفصل عن الدراسة حالا ، بينما يخضع الطالب الذي يرسب في مادة أو مادتين لفحص اكمال يجريه قبل بداية الدراسة التالية بيومين فإذا فاز به التحق بالصف الذي يليه والا كان حظه حظ رفيقه السالف الذكر .

الإدارة والهيئة التعليمية

يشرف على ادارة المعهد الدكتور جميل محمود خطاب ، مدير مستشفى الملك فيصل . ولما كان وقته لا يسمح له بالتفرغ لأمور المعهد ، أسنـــد معظم مهـــام المعهـــد الادارية الى مساعد مدير المعهد الأستاذ عدنان المصري ، الذي لا يألو جهدا ، بالإمكانات المتوفرة لديه ، في جعل الدراسة تسير بانتظام ، وفي جعـــل الطلاب يتلقون أكبر قدر ممكن من العلـــم والتحصيل . وفي تأمين جميع ما يحتاج اليه الطلاب من سكن وملبس ومأكل وترفيه ، بالإضافة الى مكافأة شهرية قدرها ٢٠٠ ريال يقدمها المعهد للطالب كمصروف جيب . ويساعده في ذلك هيئة تدريسية نشيطة تشاطره الجهد وتقدر ما يترتب عليها من أعباء ، وهذه الهيئة عبارة عن خمسة مدرسين متفرغين ، وآخرين غير متفرغين . فأحد الأساتذة المتفرغين يدرّس الإدارة والاحصاء ، والآخر يدرس التمريض والاسعاف الأولي ، والثالث يدرس العلوم ، والرابع يدرس صحة البيئة ، والخامس يدرس اللغة الانجليزية ، أما الأساتذة غير المتفرغين ، فأربعة منهم أطباء لدى المستشفى ويدرسون الطلاب مختلف الدروس الطبية ، والخامس يدرّس الدين ، والسادس يدرّس الحشرات الطبية ، وهو في الوقت نفسه مدير قسم استئصال الملاريا في المنطقة .

شروط القبول

يشترط في الطالب الذي يود الانتساب الى المعهد أن يكون من رعايا المملكة العربية السعودية ، وأن يكون سليم البنيـــة خاليا من الأمراض والعاهات ، ويكون حسن السيرة جيد السلوك ،

وتكون لديه شهادة مدرسية تثبت أنه أنهى الصف الثاني المتوسط . كما يشترط في الطالب الذي يقبل في المعهد ، أن يوقع تعهدا خطيا للعمل بعد تخرجه ، في وزارة الصحة ضعف مدة الدراسة المقررة له ، وأن يقبل العمل في الأماكن التي تعينها الوزارة .

النشاط الإجتماعي

لا يهتم المعهد بالدراسة فحسب ، بل يشجع الطلاب ويحثهم على احياء نشاطات اجتماعية تطرد عن نفوسهم السأم وتسري عنهم ، وتجعلهم يقبلون على الدراسة برغبة وارتياح . وهكذا نشأت بين الطلاب ، نتيجة لهذا التشجيع ، لجان اجتماعية هي : اللجنة الثقافية ، وتهتم بعرض الأفلام العلمية والصحية والثقافية وتحرير مجلة المدرسة الحائطية ، واللجنة الرياضية ، ومهمتها تشجيع الرياضة بين الطلاب . وطبقا للامكانات المتوفرة ، يستطيع الطلاب ممارسة ألعاب كرة القدم وكرة المضرب والكرة الطائرة . واللجنة الترفيهية وتعنى باحياء حفلات السمر والتمثيليات الفكاهية والأدبية . ولجنة الرحلات ، وتهتم بتنظيم الرحلات وتأمين حاجات الطلاب أثناءها . ولجنة النظافة وتسهر على نظافة المعهد وترتيبه . ولجنة الاعاشة ومهمتها تسلم الاعاشة اليومية من المقاول المتعهد ، والتأكد من أنها حسنة الكمية والكيفية .

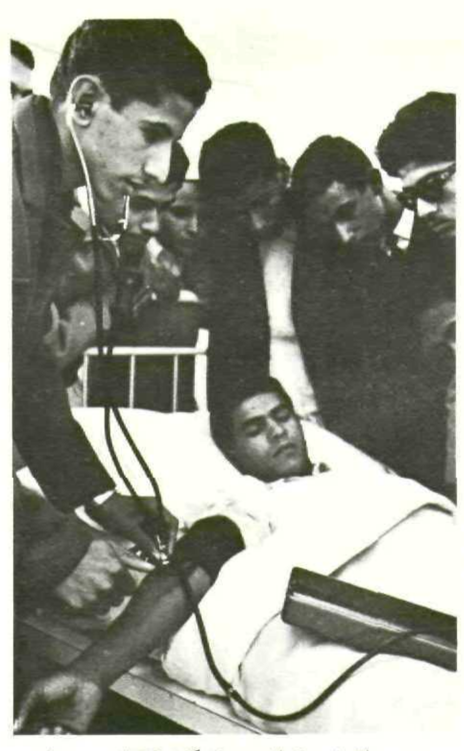
الهيئة الإدارية

في المعهد بالإضافة الى الهيئة التدريسية ، ثلاثة موظفين اداريين ، مهمتهم القيام بأعمال المحاسبة ، وتناول مختلف المعاملات الرسمية ، ورفع التقارير الادارية ، وتأمين الألبسة والحاجات الأخرى للطلاب ، والاشراف على التموين والاعاشة وغير ذلك من الأعمال الادارية .

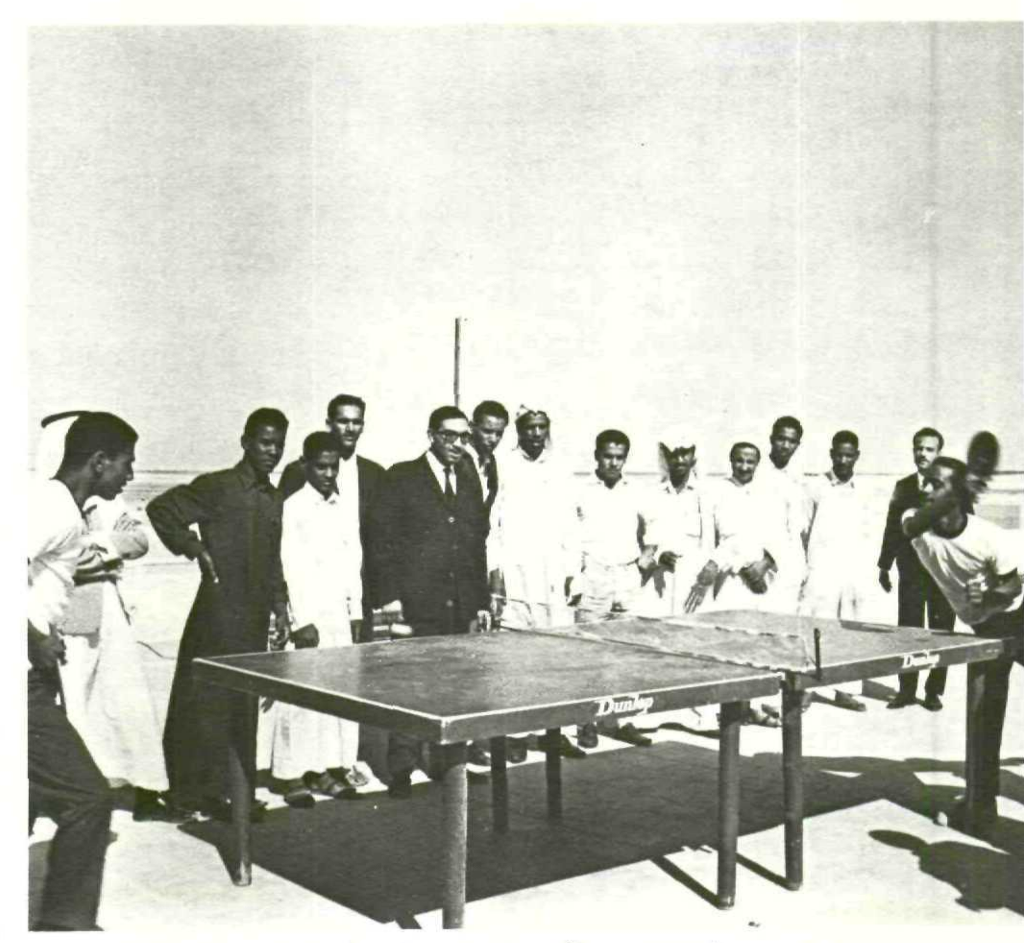
هذا هو المعهد الصحي بالهفوف الذي ، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن عمره لم يبلغ السنتين ، وأن مبناه الحالي موقت تنقصه بعض المرافق الرئيسية ، أدركنا مدى الجهود التي يبذلها القائمون عليه لجعله يؤدي الرسالة التي أقيم من أجلها ، ويؤمن للدولة موظفين صحيين يدركون واجباتهم ويعملون على نشر الوعي الصحي بين الأهلين .



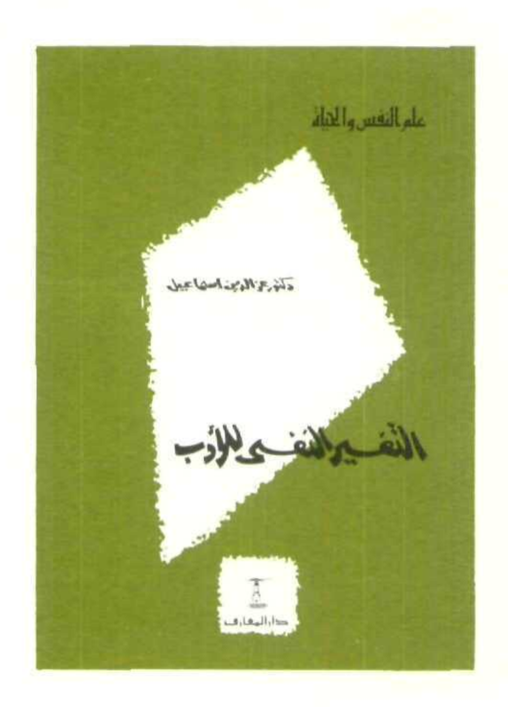
المطالعة في المكتبة من ضمن البرامج الرسمية ، فهي توسع مدارك الطالب وتزيده علما على علم .



يدرس المساعدون الصحيون كيفية قياس ضغط دم المريض .



كرة الطاولة من الألعاب المحببة بين طلاب المعهد .



التفسير النفسي للأدب

تأليف الدكتور عز الدين اسماعيل

عرض وتحليل الأستاذ عزت محمد ابراهيم

الكاد أقول أن علم النفس لم يفد الناس في حياتهم كما أفاد الأدب في كافة فروعه . فلا يزال بيننا من يشك في مقدرة هذا العلم على شفاء الناس من أمراضهم النفسية الكثيرة المتعددة ، وقلما يشك أحد في افادة الأدب من علم النفس ، فقد فتح له أبوابا عديدة يلج منها الى آفاق رحبة فسيحة الجنبات سواء في ميدان الدراسة الأدبية أو ميدان القصة والمسرحية أو ميدان الشعر . ولعل القصة كانت أوفر ميادين الأدب افادة منه ، فقد أغناها ووسع من جنباتها فلم تعد قاصرة على الوصف الخارجي فقط ، وانما تغلغلت أو تغلغل أصحابها الى أغوار النفس البشرية فحاولو سبرها ، والوصول الى خفيها ومستورها .

حقا ان بعض القصاصين قد سبقوا علم النفس الى ذلك ، ولكنهم قلة قليلة لا يقاس عليها ، هي تلك التي تتسم بالعبقرية الفذة والاصالة النادرة . قلة دستويفسكي وبلزاك من العباقرة الأفذاذ .

وهذا كتاب قدم له مؤلفه بمقدمة تناول فيها علاقة علم النفس بالأدب . ومدى اسهام الجامعة المصرية في هذا النوع من الدراسة حين كان الدكتوران أحمد أمين ومحمد خلف الله أحمد يقومان بتدريسه منذ ما يقرب من ثلاثين عاما ، وتابعهما في هذا الدرس الشيخ أمين الخولي – رحمه الله – الذي أكد الصلة الوثيقة بين البلاغة وعلم النفس في بحث نشره في مجلة كلية الآداب لفت فيه الى ضرورة الالمام بعلم النفس لدارس البلاغة .

وكان كل ذلك ، أثرا من آثار اتصال الأدب العربي بالآداب الغربية نتيجة لارسال البحوث وترجمة الكتب . وللدكتور محمد خلف الله كتاب في هذا المضمار هو « من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده » الذي يعده الدكتور عز الدين رائدا له في كتابه هذا ، كما يعد كتابه امتدادا للمنهج العلمي الذي سبق له أن انتهجه فيه . والى جانب ذلك كان للدكتور طه حسين والعقاد دراسات في هذا المنحى اتضحت معالمها بكتاب العقاد عن أبي نواس ، وان كان لطه حسين رأي يخالف فيه رأي المؤلف ، فهو يرى أن العقاد قد أسرف في استخدام علم النفس في درسه لأبي نواس فأحال فيه كل سلوك في حياته أو اتجاه في شعره الى عقد نفسية عديدة . وأغلب الظن أن طه حسين على حق فيما رأى . فالاسراف في فهم الشاعر أو المتفنن عامة على ضوء علم النفس عيب أصيل في فهمهما يقع فيه دارس الأدب . وقد يبلغ أقصاه عند أمثال برجلر حين يرى في الكاتب انسانا

غير سوي ، وحين يـــرى أن المعاناة والابداع يرتبطان ارتباط السبب بالنتيجة وأن الانسان الذي « يعاني » هو ذاته الانسان الذي « يبدع » .

ومنهج المؤلف في كتابه هو الاستفادة من حقائق علم النفس وتطبيقها على أمثلة أدبية تطبيق شرح وتفسير وتحليل ، وهو يقدر مدى ما ستقابل به آراؤه من اعراض واستنكار على الأخص من أصحاب الأعمال الأدبية ذاتها اذا كانوا على قيد الحياة . ويعزو ذلك الى أن بعض الحقائق مروع ، حتى اننا لنميل في الظاهر غالبا الى انكارها لأننا لا نحب أن نواجه خبايا النفوس .

وهذا حق ، ولكن من الحق أيضا أننا لا نستطيع أن نتقبل فهم الأعمـــال الأدبية في ضوء علم النفس الا على أنها آراء قابلة للخطأ والصواب ، وليست على انهـــا « حقائق » كما يقول المؤلف .

وللدكتور النويهي — على سبيل المثال — أن يرجع سلوك أبي نواس الى الحالة « النفسانية التي تكونت في عقله الباطن حين تزوجت أمـــه بعد أبيه » وللمؤلف أن يبدي ما يشاء من رأي في ذلك « فرويدي » أكثر من «فرويد » نفسه — له أن يبدي ما يشاء فيها ولكن ليس له أن يفرضها كحقائق مسلم بها .

تُرى أيوافقه صاحب القصيدة على تفسيره لما وراء الشعور أم يكون الحال عنده كما هو عند نجيب محفوظ حين قال أحد النقاد انه يرمز الى مصر بحميدة بطلة « زقاق المدق » ، وكان رد نجيب محفوظ بأن ذلك الشيء لم يخطر له على بال .

وربما خطر على البال خاطر لابأس من ذكره هو أن مبالغة النقاد في تفسير أعمال الفنانين قد يقف حائلا بينهم وبين المعنى الابداعي في العمل الفني ، كلما خطوا فيه خطوة وقفوا متسائلين عما يمكن أن يوحي لأصحاب التفسير من معنى وعما يمكن أن يجدوا فيما وراء مما هم بـراء منه ، فطووا عنه كشحا ، وأسدلوا عليه ستارا ضعيفا ، فيصاب العمل الفني بالعقم والجمود .

واذا كان ما ذكرته اسرافا وشططا فان من الاسراف والشطط أيضا أن يصبح العمل الفني محورا لنظريات علم النفس يدور حولها شارحا ومفسرا ، فذلك من شأن علم النفس وليس من عمل الأديب ، وهو ما يشير اليه المؤلف في حديثه عن الميل الواضح للكتاب والفنانين للافادة من علم النفس في كتابة القصة ، والقصة القصيرة ، « حتى صارت القصة أشبه بالتقرير النفسي منها بالعمل الفني » . وهو أثر خطير وضار معا تتضح خطورته وضرره فيما يقصه « روباك » من أن أحد المتفننين سأله عن بعض كتب علم النفس لأنه يحتاج الى أن ينسج في قصصه الحقائق النفسية — أي ان النظريات النفسية أصبحت عند هؤلاء بمثابة أبطال العمل الفني وشخوصه الحقيقيين ، وهو خطر على الرواية والقصة يعادل — في رأيي — الخطر في استخدامها أداة تشيع ووسيلة دعاية للمذاهب والآراء السياسية والعقائدية .

* * *

وتحت عنوان « مشكلة الفنان » يتناول المؤلف ما يحيط بشخصية الفنان من غموض وما يكتنفه من ابهام ، عرفه الأقدمون فيما خاضوا فيه من حديث شياطين الشعراء الذين يوحون اليهم زخرف القول ، وعرفه المحدثون فيما حاول فيه بعضهم من ربط بين العبقرية والجنون ، وقد أورد المؤلف آراء لاصحاب هذا الرأي ونقيضه مال فيه الى نفي الجنون أو المرض النفسي عن الفنان وختمه بدفاع « شارلز لامب » عن الصحة العقلية للفنان في قوله : ان الشاعر يحلم وهو يقظان فلا يتسلط عليه الموضوع وانما يسيطر هو عليه ، وهذا هو الفارق بين الفنان والمريض النفساني الذي يتسلط عليه خياله فيخرج به من دنيا الواقع الى دنيا الأحلام يعيش فيها ، ويهيم في بواديها .

وأصحاب الرأي القائل بارتباط العبقريـــة بالجنون لهم حجتهم فيما يرونه من أمثلة على ذلك ، ولكنها في الأغلب الأعم لا ترتبط بالفنان ذاته بقدر ما ترتبط بما يكون له من علاقة بينه وبين مجتمعه والبيئة التي يعيش فيها ، ومقدار ما يكون له معها من اتفاق واختلاف ، وعلى قدر ذلك يكون ما يظهر عليه من غرابة الأطوار والجنوح عن المألوف : كان برنارد شو ، وسومرست موم فنانين — عـــلى تفاوت بينهما — وهما ليسا بالمثل الذي يساق على جنون الفنان لأنهما كانا على وفـاق مع حياتيهما فلم ينبو بهما مجتمعهما ولم يجربا حياة الفاقة والشقاء .

وكان ريتشارد فاجنر وفان جوخ فنانين ، وهما مثل على جنون الفنان لأنهما لم يكونا على وفاق مع المجتمع الذي عاشا فيه ، فذاقا الفاقة وعرفا الشقاء ، وتقلبا بين نعيم الأمل وشقاء اليأس ، ولعل ذلك هو المحك الذي يقاس به انحراف الفنان عما ألف الناس من طباع وسلوك بغـــير مسوغ الى اطـــلاق حكم أو تعميم نتيجة .

ويتساءل المؤلف عن العبقرية : ما هي ؟ وعن عبقرية الفنان بصفة خاصة ، وطبيعة تلك القدرة التي تجعل الانسان فنانا ، ولا يجيب هو على تساؤله ، وانما يدع الاجابة لسوبر ، وكوكس ، وجيلفورد وغيرهم ، وهو ضياع لشخصية المؤلف ومحو لها يلاحظ على كتابه عامة ، فكأنه ترجمة وليس بتأليف .

ويورد المؤلف تحليل جيلفورد للنشاط الابداعي الذي يتسم بـه العبقري ، والذي يعتمد على وظائف نفسية ثلاث هي :

١ — مجموعة الوظائف الخاصة بالادراك والمعرفة ، وعلى أساسها يقوم النشاط الابداعي .

٢ — مجموعة الوظائف الانتاجية ، ويدخل في نطاقها الاصالة متمثلة في الميل الى التجديد ، والطلاقة متمثلة في قدرة العبقري على استدعاء أكبر عدد من الألفاظ والأفكار أو التخيلات ، والمرونة متمثلة في القدرة على تغيير النظر الى الأمور والمشكلات .

٣ — وظيفة التقويم التي يتم بها الحكم على قيمة شيء أو موضوع من حيث ملاءمته لان يوضع مع أشياء أخرى .

ولا بد — في رأي جيلفورد — أن تتوافر هذه العناصر في الشخص الواحد لكي يكون عبقريا ، يصح أن تطلق عليه صفة العبقرية .

وبديهي اننا لا نستطيع أن نضع كل عبقري أمام هذه الاعتبارات أو المقاييس أو نزنه بميزانها

ثم نعطيه براءة العبقرية اذا جاز امتحانها . فذلك شيء لا سبيل اليه ، وانما نعرف العبقري بسماته في عمله : قوة واصالة ومقدرة تروع وتعجب وتخرج بقدرتها واصالتها على المعتاد والمألوف . فالعبقري شخص متمايز تعرفه وسط الآلاف بل الملايين من الناس وتشير اليه ، وتهتدي الى عبقريته بغير حاجة الى مقاييس تقيسه بها ، أو موازين تزن بها أعماله . وسواء وضع جيلفورد أو غيره تلك المقاييس أو لم يضعها فستظل للعبقرية سماتها التي تنفرد بها . وخاصتها التي لا يقاس بها غيرها .

ولا يعني ذلك أن ننكر جهد المجتهدين في هذا الميدان أو نستهين بنفحه وجدواه ، وانما قصارى ما يقال فيه انه محاولات للايضاح والتفسير . وليست حقائق للوزن والقياس توضع في كفة ويوضع العبقري في الكفة المقابلة لكي تشيل أو ترجح .

فالمتنبي وأبو العلاء المعري . وهوميروس ، ودانتي ، وشكسبير عباقرة لا يفري فريهم أحد . وقد تتوفر فيهم الوظائف النفسية لدارس علم النفس وقد لا تتوفر ، ثم لا ينفي ذلك عبقريتهم التي تقاس بأعمالهم قبل أن تقاس بذواتهم . وبعمله وابداعه واصالته يعرف العبقري قبل أن يعرف بذاته ونفسيته بما فيها من أبعاد وأغوار ومسارب ومنحنيات ، فهذه ليس من السهل فهمها والاهتداء اليها . ومن السهل فهم عمله وابداعه والاهتداء اليه . فليكن هو المقياس الصحيح حتى نفطن الى سواه من المقاييس .

ولعلي أتفق في ذلك مع المؤلف الذي يقول بعد تحليل جيلفورد : —

« ان العبقرية ما تزال . وربما ظلت فترة قد تطول . مشكلة عصية الحل » .

° ° °

وتحدث المؤلف في الباب الثاني من كتابه عن فن الشعر . فعرض منه ما يتعلق مباشرة بعلم النفس . وهو ما يعنيه المؤلف بتلك الفكرة الشائعة القديمة التي ترجع الى الخليل بن أحمد واضع علم العروض والتي تقول بتحديد طابع نفس لكل وزن من أوزان الشعر بعضها يتفق مع حالة الحزن . والآخر يتفق مع حالة الفرح والبهجة . فيختار الشاعر الوزن الشعري الذي يتفق مع حالته النفسية والشعورية التي يريد التعبير عنها بالوزن والقافية والحروف والكلمات . ويقول المؤلف أن الفضل في ذلك يرجع الى الشاعر الأول ، أول من أنشأ القصيد ثم تابعه الشعراء على ذلك يتحركون في هذا الحيز الذي رسمه لهم شاعرهم الأول ويقتفون أثره ، ويعني ذلك انهم قد لا يكونون صادقين مع أنفسهم حين ينهجون نهج سواهم .

وليس الأمر كذلك فانهم يختارون على البداهة ما اختاره الشاعر الأول على البداهة . كما أنشأ الشعراء قديما شعرهم بغير حاجة الى معرفة الأوزان والقوافي اهتداء بالفطرة والطبع السليم . ولم ينشأ علم العروض الا بعد أن فسدت الفطرة واختلط اللسان العربي وكثرت الزلات والعثرات . فكان لا بد لها من علم ينظمها ويرسم لها القواعد والحدود . وهي الحاجة نفسها التي من أجلها وضع علم النحو .

وعلى أي حال فالمؤلف لا يوافق هذه الفكرة الشائعة القديمة .

وليس في باب فن الشعر على العموم — كما تناوله المؤلف — كبير ارتباط بعلم النفس . انما هو بحث في علم العروض وموسيقى الشعر وتطبيق على بعض نماذج شعرية من القديم والحديث ، الا ما كان من تناوله لقصيدة الأرض اليباب لـ « ت. س. أليوت » ، وهي قصيدة قتلت بحثا ودرسا وشرحا وتفسيرا .

ولعل هذا الارتباط يظهر أكثر وضوحا في بابي « في الأدب المسرحي » و « في الأدب الروائي » ، فهما بحق الميدان الخصب لعلاقة الأدب بعلم النفس ، وقد كان فرويد أديبا ذواقة فترددت اصطلاحات «عقدة أوديب» و « عقدة الكترا » و « عقدة أورست » بين ثنايا كتبه ومحاضراته ، وهذا مثل من أمثلة افادة علم النفس من عباقرة المبدعين في فنون الأدب القديم واليوناني منه على وجه التخصيص مع ما نجد في مسرحيات شكسبير وروائع دستويفسكي من نماذج بشرية متنوعة من مرضى النفوس ومضطربي الأعصاب يجد فيها عالم النفس بغيته في الدراسة والتحليل ، فالعلاقة بين علم النفس والأدب هنا علاقة تأثر وتأثير وأخذ وعطاء قل أن يوجد لها نظير في غير المسرح والرواية من أبواب الأدب وفنونه .

وقد اختار المؤلف أمثلة تطبيقية ثلاثة من الفن المسرحي هي : هاملت لشكسبير . وأيام بلا نهاية ليوجين أونيل . وسر شهرزاد لأحمد باكثير . كما اختار مثلين من الفن الروائي هما: «الأخوة كرامازوف» لدستويفسكي، و«السراب» لنجيب محفوظ . ولا مناص من الاختيار في الحديث عنها لضيق المجال . فليكن الحديث عن المثال الأول من اختيار المؤلف : هاملت في الفن المسرحي ، والأخوة كرامازوف في الفن الروائي ..

وقد كان اختيار المؤلف موفقا فأمثلته ملأى بالنماذج النفسية حافلة بشخوصها ، وهي مادة خصبة لمبضع الدارس النفسي بالرغم مما يقوله في معرض حديثه عن قصة «السراب» من أن ماسبقها من نماذج « لا تخطر على البال عندما نتحدث عن الاتجاه النفسي في الأدب » . ولا أدري كيف يمكن ألا تخطر على البال شخصية هاملت وشخوص الأخوة كرامازوف في مجال الاتجاه النفسي للأدب . وقد ظفرت شخصية هاملت بكل هذا الاهتمام من الدارسين وخصها « أرنست جونسن » بكتابه عن « سر هاملت وعقدة أوديب » .

ولعلك قد لاحظت أن بعض هذه الأمثلة سابق لعلم النفس وبعضها لاحق له ، وبمعنى آخر أن بعضها قد أفاد علم النفس وبعضها قد استفاد منه ، وليت المؤلف قد أفرد لهذا النمط من الدرس بابا من أبواب كتابه أكثر سعة وشمولا من اشارته السريعة الى ذلك في تمهيده لباب « في الأدب الروائي » وبين ثنايا تناوله لمسرحية « سر شهرزاد » .

° ° °

وبعد ، فهل أختم هذا الكلام بالعبارة التقليدية التي تثني على الكتاب وتمدح جهد صاحبه فيه . حسبي من ذلك أن أقول ان الكتاب الجيد هو — وحده — الذي يجد فيه الناقد مجال القول ذا سعة .

قلب شاعر

للدكتور عارف قباسه

نَعِسَ النجم وجفني ساهر / وانطوى الليل ، وفكري حائرُ
وسميري تحت أمواج الدجى / مهجة حرى ، وقلب شاعرُ

* * *

هبط الحزن على نفسي الكئيبه / كسقوط الغيث في الأرض الجديبهْ
ينثر الدمع على خد الثرى / ويغطيه بأزهار غريبهْ

* * *

ايه يا بحر همومي أين زورقْ / فوق صخّاب من الموج مُعلّقْ
أبسط الكفّ اليه مثلما / يبسط الكفين في اللجة مُغرَق

* * *

أي شيء مثل ذرات الضباب / يتهاوى في فؤادي ورغابي
تشرق الشمس ولكن ضوؤها / يرتمي في الروح من خلف سحاب

* * *

قد عرفت اليوم أسرار شقائي / منك يا خافق شكواي ودائي
كلما أفرغت كأسا مرة / اترعت راحك بالصاب انائي

* * *

يا لها قيثارة بين يديك / رشفت رعشتها من شفتيك
كلما هب نسيم في الدجى / رجعت أصداؤه في مسمعيك

* * *

ان رأيت الصبح في الوردة طيب / خفت أن يفلت منها ويغيب
أتظل الدهر ، كالطير الغريب / قلق الألحان ، مشبوب اللهيب ؟!

* * *

واذا في الليل أبصرت القمر / وحواليه من الشهب درر
خلته مما يعاني من ضجر / عاشقا عذّبه طول السهر

* * *

واذا الموجة في سمع الصخور / وشوشت بعض حكايات الدهور
قلت ان الموج للصخر الصبور / يشتكي جور الليالي والعصور

* * *

أنت يا قلبي أتعبت خيالي / ترتمي في الحزن ، لكن لا تبالي
وكما تهوى الفراشات اللظى / أنت تجري خلف وهم وضلال

شهيد الواجب

بقلم الاستاذ محمد علي قطب

كان حسن شابا وسيما قوي البنية مثقفا يتعشق المطالعة ويهوى الرياضة ، وكانت تستهويه المباريات الكبرى بصفة خاصة لما يجد فيها من مجال واسع لاظهار بطولته ونيل ما يستحق من تشجيع وتقدير . كما كان مولعا بقصص البطولة لما فيها من مغامرات ومواقف حماسية تفيض بالغيرة والحمية دفاعا عن الوطن .

كان النصر حليفه في أكثر المناسبات ، فقل ان تجرى مباراة رياضية من أي نوع دون أن يكون بطلها المجلي ، وقل أن يمر حادث يتطلب شيئا من التضحية الا كان ذلك الشهم الذي لا يغمض على القذى ولا يرضى للكرامة أن تهان . وكان محبوبا من والديه وزملائه ولا يدخر وسعا في مساعدتهم والعطف عليهم ، وكان دائما عند حسن ظن والديه به ، فكان يتنقل في مراحل الدراسة بنجاح فائق حتى حصل على شهادة « الليسانس » في الحقوق وكان من أوائل المتخرجين في ذلك العام .

لقد أصبح حسن في الرابعة والعشرين من عمره ، يفيض حيوية ورجولة فرأى والداه أن يزوجاه ليفرحا به قبل أن يوافيهما الأجل المحتوم ، ففاتحاه في ذلك ذات مساء ، فأبدى موافقته على أن يتركا له أمر اختيار عروسه ، اذ كان يفضل أن تكون شريكة حياته فتاة لا تقل عنه ثقافة ، لأن لذلك في رأيه أكبر الأثر في توطيد العلاقة بين الزوجين وقيامها على أساس من التعاون والادراك وحسن التفاهم . فلم يسع الوالدان الا أن يراعيا شعور وحيدهما ويقتنعا بوجهة نظره .

كانت علاقة حسن بابنة عمه سلمى علاقة وثيقة . فقد كانت زميلته في الجامعة ، فكانا يقضيان الساعات الطوال في المذاكرة والدرس . وكانت فكرة الزواج والاقتران



بسلمى طالما ساورته وداعبت أحلامه . ومع ذلك كانت تبدو في نظره فكرة بعيدة التحقيق لما بين أبويهما من جفاء وما يباعد بينهما من فوارق مادية . اذ كان عمه محمود رجلا موسرا وذا جاه ونفوذ مما جعله يوقن تماما انه لا يرضى لابنته الا رجلا لا يقل عنه ثراء وجاها . لذلك رأى من العبث أن يفاتح أبويه بذلك وان يصرح لهما برغبته عندما اعادا عليه الكرة وألحا عليه أن يخبرهما عن الفتاة التي اختارها ، فوعدهما بذلك في تردد وحيرة بادية ، فأدرك الوالدان أن في الأمر شيئا فأوعز أبوه الى والدته أن تجتمع اليه وتتفهم حقيقة أمره ...

توجه حسن الى غرفته بعد تناول العشاء فسارت والدته في أثره قائلة :

— اعتقد ان الوقت ما زال مبكرا ، يسمح لنا بالتحدث معا بعض الوقت فهل لديك مانع من ذلك ؟

— كلا يا أماه ليس هنالك أي مانع ، تفضلي .. وهنا أخذت الوالدة مكانها الى جانبه وقالت وهي تحدق في وجهه متسائلة :

— لمَ بالله كل هذه الحيرة يا بني ، ألم يقع اختيارك بعد على الفتاة المناسبة ؟!

— ليس ذلك من السهل كما تظنين يا أماه ، فاختيار الزوجة الملائمة يتطلب الكثير من الدقة والتروي والتنقيب والبحث الطويل . فقد يؤدي التسرع الى سوء الاختيار فنتكبد الكثير من المتاعب طوال حياتنا ، ونقع في حبال الندم يوم لا ينفع الندم .

لقد ذكرت انك تريد زوجة لا تقل عنك ثقافة فلماذا لا تترك لنا أمر هذا الاختيار ، على أن نراعي فيه ما ذكرت . فأنا أعرف عددا غير قليل من الفتيات المتعلمات الجميلات اللاتي يجمعن الى جانب ذلك ، النبل وكرم المحتد ، فما رأيك مثلا في نادرة بنت المعلم حسان ؟ ألا ترى معي انها بنت مهذبة ظريفة علاوة على ما يتصف به والداها من الطيبة والنبل وحسن السمعة ؟ ، ان صلتنا بهذه العائلة قديمة جدا فلا تخش مطلقا أن نقع في الخطأ أو سوء الاختيار .. وأسماء بنت الشيخ عبد السميع فتاة حسناء كاملة الخلق والخلق ، حصلت على الشهادة الجامعية هذا العام . وهي من عائلة محافظة معروفة بالنبل وكرم النسب . وعزيزة بنت العم كامل المغربي ، فتاة غاية في الظرف والأناقة والجمال ، وقد حصلت على الشهادة الجامعية في العام الفائت الى جانب مهارتها وحسن قيامها بشؤون المنزل .. وغيرهن ممن لن تجد أي حرج في اختيارهن من الفتيات المتعلمات .

— لا أشك فيما تقولين يا أماه ولكن هنالك شيء .. شيء دقيق لا يمكن أن يترك أمر البت فيه لأحد غيري ..

— ما هو هذا الشيء الذي لا يحق لنا ، نحن والديك ، أمر تقريره والبت فيه ؟

— أقصد انها شخصية بحتة لكل من يريد أن يتزوج حق تقريرها .. انها الحب وتبادل المشاعر والميول التي هي أساس للحياة الزوجية الصالحة السعيدة .

— ان مسألة الحب يا بني ، ان فقد مقدما فسوف يتحقق بمرور الزمن و ...

— لكن اسمحي لي يا أماه ان أقول اننا نعيش الآن في عصر يسمح للرجل بأن يختار من تناسب ميوله وطباعه لتكون شريكة حياته ، وأمّا لأطفاله . وهو يوفر على نفسه بهذه الطريقة الكثير من المتاعب والمشاق التي تنشأ من عدم توافق الزوجين .

— ليكن ما تريد يا بني ولكن بالمناسبة قل لي ما لي أراك لا تلتقي بابنة عمك سلمى كعادتكما ، هل حدث خلاف أدى الى هذا الجفاء بينكما .

— كلا .. لم يحدث بيننا شيء ولكننا كنا نجتمع للمذاكرة والدرس ، وقد أصبح لا داعي لذلك بعد تخرجنا من الجامعة .

— هل تستطيع أن تبدي لي عن رأيك الصريح فيها وقد قضيتما معا أوقاتا طويلة ؟

وكأنما مست بسؤالها ذلك موضعا حساسا من نفسه ، فاحتقن وجهه وظهرت عليه علامات الارتباك قبل أن يرد عليها في صوت مختنق بقوله :

— طبعا يمكن ذلك ، ولكن من العبث أن نبحث في هذا الموضوع وأنت تعرفين ما بين عائلتينا من فوارق و ....

— لقد طلبت اليك ان تجيبني على سؤالي . ولكن ما دامت سلمى هي التي تريدها فسوف نعمل على تحقيق زواجكما وازالة كل ما يعترضه من مشاكل وعقبات .

والواقع ان ما كان يبدو لحسن من فتور في العلاقات بين أبيه وعمه لم يكن ناجما عن خصومة ونفور بينهما ، ولكن ضرورة الحياة قضت بانشغال كل من الأخوين بشؤونه وأعماله الخاصة ، وقد تمت مراسم الخطوبة بينهما وتأجل اجراء الزفاف بضعة أشهر لاجراء الاستعدادات والتدابير اللازمة ، وعادت صلة الخطيبين ببعضهما كما كانت وصارا يعدان العدة لبناء صرح المستقبل السعيد .

خرجت الصحف ذات صباح تعلن بحروف كبيرة دعوة المواطنين الى الجندية دفاعا عن الوطن فأبت رجولة حسن وشهامته ان يتخلف عن تلبية النداء ، وأصر أن يكون في طليعة المجاهدين الذائدين عن حياض الوطن ، وأمضى فترة التدريب بنجاح ، ثم عين بعدها قائدا لاحدى الفرق المتوجهة الى ميدان المعركة .

جاءت سلمى الى بيت حسن تتنسم أخبار خطيبها وتقضي مع والديه بعض الوقت ، وكان يوما عاصفا ممطرا فلم تتمكن من الرجوع الى منزلها فقضت مع والديه وهنا من الليل يتجاذبون أطراف الحديث . وبينما هم كذلك سمع قرع شديد على الباب ففتح الوالد الباب وتناول البرقية التي أتى بها موزع البريد بيد مرتعشة وتلاها أمام الحضور في صوت مختنق فاذا هي تعلن استشهاد البطل حسن في ساحة المعركة .

كانت ليلة سوداء قضاها الجميع في حزن مرير ، وقد انقطعت سلمى عن المجيء الى بيت خطيبها وأثر الحزن في أعصابها ، فمرضت وأمضت في المستشفى أياما طريحة الفراش . وقد تلقت بعد أشهر رسالة من خطيبها كان قد بعث بها مع أحد زملائه يقول فيها : « وداعا يا عزيزتي ، لقد كنت أرجو أن أعود لنحقق ما رسمنا من آمال ونسعد بحياة زوجية هنيئة ، ولكن قضى الله أن أموت شهيد الواجب دفاعا عن وطني وبلدي .. وداعا يا عزيزتي الى الأبد ولتعيشي في حراسة الله . »

استدراك

وقع سهوا خطأ في التعليق على صورة الطابع المنشور على الصفحة الخامسة من عدد ذي القعدة ١٣٨٦ ، ضمن مقال «قصة طابع البريد» ، بأن تاريخ صدوره يرجع الى العهد العثماني ، والصواب هو أنه صدر في عهد المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود . فنعتذر عن ذلك الخطأ غير المقصود .

الصفحة الضاحكة



... دون تعليق

من اسكتلندا

تزوج اسكتلندي بفتاة اسكتلندية ، وفي صباح ذات يوم كان يتحدث مع بعض جيرانه ، فأطلت عليه زوجته من علٍ وصاحت قائلة : هيا يا عزيزي لقد حضرت لك البيض والزبدة والجبن والمربى والشاي ، فتعال تناول فطورك ..

وصعد الزوج مسرعا ، فلم يجد على المائدة سوى قطعة من الجبن . فقال : « ما هذا ؟ أتضحكين عليّ ؟ » فأجابت الزوجه في صوت منخفض : « كلا بل أضحك على الجيران » .

ذكاء

دعا قروي أحد مصلحي التلفزيون لتصليح جهازه . وبعد أن حضر المصلح ، وتفحص الجهاز جيدا قال له : « انني أعجب من هذا ، اذ لا يوجد به أي خلل ؟! »

فقال القروي : « أعلم ذلك .. ولكن البرامج لا تناسبني . »

لباقة ..

كان الزوج يضيق بصديقة زوجته « مسز باركر » لثرثرتها وأحاديثها السخيفة. وفي أحد الأيام سمع صوتها وهي تقرع الباب فأسرع بالاختفاء في غرفته معتزما أن يبقى بها حتى تنصرف الضيفة الثقيلة .

ومرت ساعتان ، ثم وضع الزوج أذنه على باب غرفة الاستقبال فلم يسمع صوتا . فدفع الباب .. وقد حسب أن الضيفة قد انصرفت . وما كاد بصره يقع على وجه زوجته حتى هتف قائلا :

« هل انصرفت المرأة السخيفة ؟ »

ولكن الضيفة لم تكن قد انصرفت بعد ، بل كانت قابعة في أحد الأركان ، فامتقع وجه الزوج من الخجل . ولكن زوجته أسرعت قائلة : أجل لقد انصرفت يا عزيزي .. ومعي الآن صديقتي « مسز باركر » .

منطق المرأة

قالت الزوجة لزوجها : «غريب أمرك .. كنت تحب أن تأكل الفول يوميا مدة الأسبوعين الأخيرين ، واليوم لا أدري لماذا أصبحت لا تحبه فجأة ؟! »

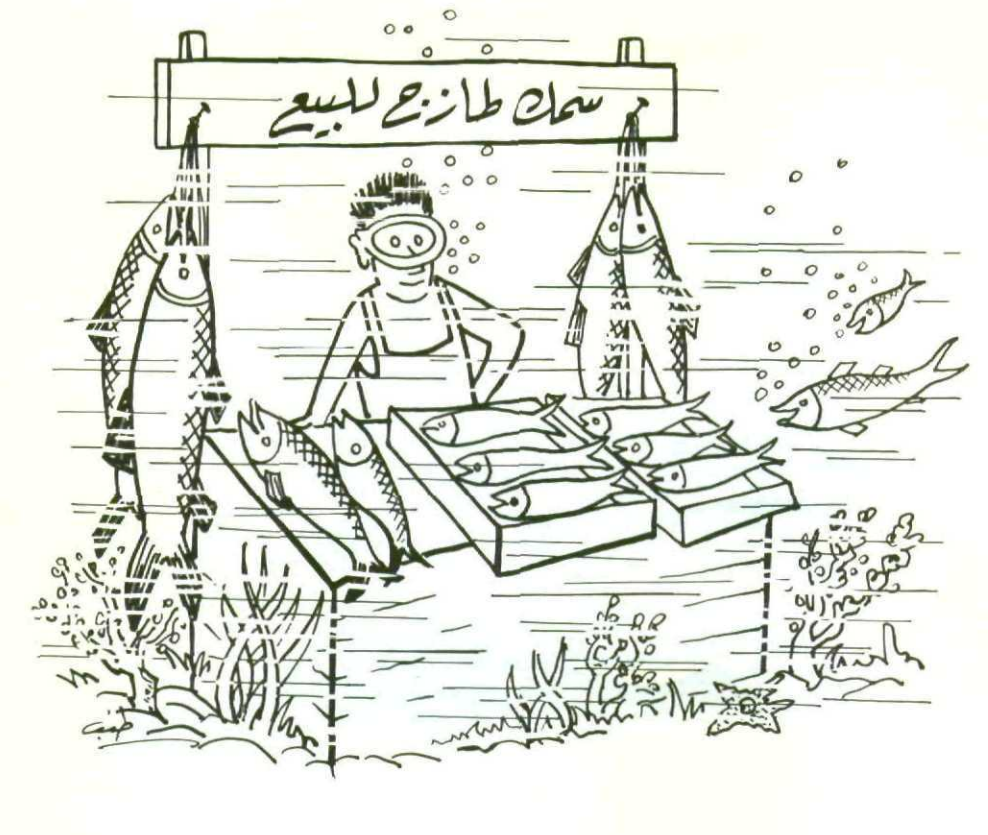


المظلة في العصر الحجري ...

برناردشو وملكة جمال

بينما كان برناردشو يسير بين موائد أحد المطاعم في لندن مرّ بمائدة تجلس عليها ملكة جمال بريطانيا دون أن يلتفت اليها ، فغاظها ذلك ، ووقفت في وجهه تقول : « ماذا يقول الناس عنك ، وقد مررت بملكة جمال بريطانيا دون أن تلتفت اليهـا ؟ »

فقال شو : « ليس في ذلك ما يستوجب الدهشة ، فلو أنني نظرت اليك . لما وصلت الى المائدة .. ولو وصلت اليها لما استطعت أن أتناول الطعام . »



أتذكر ؟!

بعد أن تناول أحد الزبائن وجبته الشهية في المطعم ، نادى النادل ، وقال له : « أتذكر قبل سنة عندما حضرت الى هنا وتناولت وجبة غدائي ولم يكن معي من النقود مـا يكفيني ، فقذفت بـي الى الشارع ؟ »

فأجابه النادل : « اني آسف لذلك يا سيدي أشد الأسف .. » فقاطعه الزبون قائلا : « أخشى أن أضطر الى ازعاجك بذلك ثانية . »

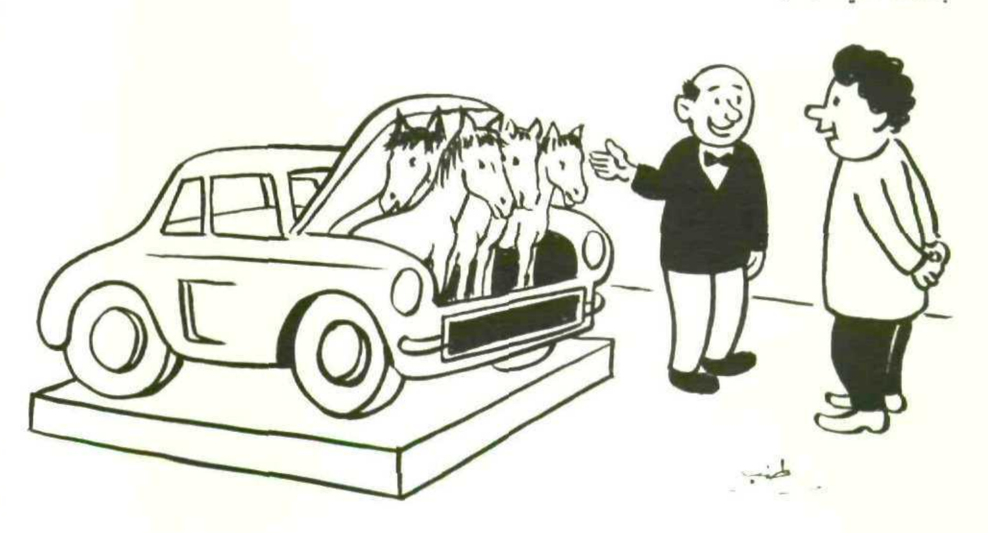
طريقة فعالة

روى أحد الصحفيين الغربيين القصة التالية :

طلبت اليّ زوجتي أن أضع رسالة لها في صندوق البريد ، وقالت لي : « لا تنس أن تفعل ذلك فالرسالة مهمة . » ولكني نسيت . وبينما كنت في طريقي ، وضع أحد المارة يده على كتفي ، وقـال : « تذكر الرسالة . » ولما كنت في طريقي الى صندوق البريد ، قال لي أحد المارة أيضا : « لا تنس الرسالة . » وتساءلت كيف علم الغرباء بأمر الرسالة ؟

ورأيت ثالثا يقترب مني فبادرته بقولي : « اطمئن ، فقد وضعت الرسالة في البريد.. ولكن كيف عرفت أمرها ؟ »

فابتسم الرجل وقال : « في هذه الحالة يجب أن تزيل الورقة الملصقة على ظهرك . » وكان مكتوبا على الورقة بخط زوجتي : « ذكروه بأن يضع الرسالة في صندوق البريد . »



بائع السيارة : ان قوة هذه السيارة اربعة احصنة .. وتسير بلا وقود ...



علف من الفحم

الطعام . . الطعام يؤمن للملايين من البشر . . ذلك موضوع الساعة الذي يشغل بال جل العلماء بحثا عنه في موارد شتى . وفي نبأ من جنوب افريقيا أن شركة للفحم والبترول والغاز تمكنت مؤخرا من الاستفادة من بعض المنتجات الثانوية الناتجة عن تحويل الفحم الحجري الى بترول في انتاج بعض أنواع الطعام . وهذه المنتجات عبارة عن حوامض دسمة ، تبين عند اضافتها بنسبة ٣,٥ في المائة الى الذرة وتقديمها وجبات الى الماعز ، أن وزن الماعز قد ازداد بمعدل ٤ أرطال في اليوم ، بينما كان معدل الزيادة فيما قبل لايتجاوز ٣,٥ في اليوم . والغريب أن هذه الكمية من الحوامض هي أكبر نسبة يمكن تقديمها الى الحيوانات ، واذا ما زادت على ذلك فانها تسبب الاقلال من شهيتها .

طبيب باللاسلكي

تتوقف حالة كثير من المصابين والمرضى الصحية في معظم الأحايين على سرعة وصول الاسعاف اليهم ، وللدقائق أو حتى الثواني أبلغ الأثر في ذلك . ومؤخرا تناقلت الأوساط العلمية نبأ مؤداه أن العلماء تمكنوا من عمل جهاز الكتروني مؤلف من جزئين ، الأول خاص بقياس ضغط دم المصاب وعد نبضات قلبه ، والثاني خاص بارسال المعلومات واستقبالها بين الطبيب وبين المشرفين على اسعاف المصاب قبل وصول الطبيب اليه . ويمكن استعمال هذا الجهاز في مدى نطاق عشرة كيلومترات .

المريخ - هل من حياة فيه ؟

علم الفضاء أصبح الشغل الشاغل لكثير من العلماء ، ففي كل يوم تسجل اكتشافات جديدة ... واحتمال وجود حياة على الكواكب الأخرى أصبح الموضوع الأول الذي يشغل هؤلاء العلماء . وقد أسفرت البحوث التي أجراها بعض العلماء الفرنسيين عن أن جو المريخ يحتوي على كميات كبيرة من المركبات الهيدروجينية ، ومنها غاز الميثان الذي يتكون في الأرض بفعل بعض أنواع البكتيريا التي تحتاج الى اكسجين . ومن هنا يمكن الاستنتاج بأن هناك احتمالا بوجود بعض أنواع من البكتيريا في المريخ . ويعتقد العلماء بأن هذه البيئة الكيماوية الى جانب البكتيريا ستعملان أو عملتا على تطوير بعض أنواع من الحياة ولو بشكلها البسيط . بيد أن هذه الحياة لم تكتشف بعد .

خياطة الملابس بالأدمغة الالكترونية

يحق لنا تسمية هذا العصر بعصر التقنية والسرعة اذ أصبحت معظم الأشياء اليوم تعالج آليا ، كما أصبحت السرعة الطابع البارز في أداء أي عمل ، حتى في مهنة خياطة الملابس التي تتطلب عادة كثيرا من الفن والدقة والذوق . وفي بريطانيا يجري العلماء في الوقت الحاضر تجارب حول خياطة الملابس بالآلات الالكترونية . ففي هذه الحالة يقف الانسان أمام آلة تصوير ، تلتقط له صورا من جهات مختلفة من جسمه ، ويتولى الدماغ الالكتروني مهمة التفصيل ، كما تقوم أشعة خاصة في الوقت نفسه بمهمة القص . وبعد ذلك يوضع القماش في قسم آخر من الآلة الالكترونية لاتمام مراحل الخياطة حسب مقاييس التفصيل المطلوبة . ويعتقد الخبراء بأن البذلات التي تخاط بهذه الطريقة تكون مطابقة للجسم تماما ، وأن عملية انجازها لا تستغرق سوى دقائق معدودة .

السيارات والناس في الولايات المتحدة

للإحصاءات أو لغة الأرقام دور كبير في حياة الناس . وكثيرا ما تخرج الاحصاءات بأنباء على جانب من الطرافة . فمن ذلك أن ١٠٣ ملايين سائق أمريكي قاموا خلال عام ١٩٦٦ بسياقة ٩٤ مليون سيارة قطعوا بها مسافة ٩٢٢ بليون ميل . وهذه المسافة تعادل ٢٠٠ مليون رحلة الى القمر ذهابا وايابا . على وجه التقريب .

وقد استهلك هؤلاء السائقون خلال ذلك حوالي ٧٤,٦ بليون جالون من البنزين ، وهذه الكمية تزيد بنسبة ٥ في المائة على الكمية التي استهلكت عام ١٩٦٥ . والجدير بالذكر أن ٤٦ في المائة من مجموع هؤلاء كانوا في طريقهم لكسب قوتهم ، و ٣٩ في المائة كانوا يقومون برحلات قصيرة ، و ٨ في المائة كانوا في طريقهم الى مدارسهم وجامعاتهم ، بينما كان ١٧ في المائة يقومون بنشاطات اجتماعية وترفيهية .








* أصدر الأديب العراقي الأستاذ وحيد الدين بهاء الدين كتابا أدبيا عنوانه «من الأدب العربي المعاصر» اشتمل على دراسات بصيرة عن العقاد والكاظمي ومحمود تيمور وحافظ جميل وسلامة موسى وابراهيم وفدوى طوقان ومحمد الأسمر والزهاوي والمنفلوطي ، وقدم له الدكتور صفاء خلوصي .

* كذلك أصدر الشاعر المصري الأستاذ فتحي سعيد دراسة لطيفة عنوانها «الغرباء» تناول فيها طائفة من الشعراء المعاصرين منهم فوزي المعلوف وبدر شاكر السياب وصالح شرنوبي وعبد المعطي الهمشري وابراهيم طوقان وغيرهم .

* صدر للعلامة العراقي الأستاذ كوركيس عواد كتاب عنوانه «المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين المحدثين» تناول فيه بالدرس الآثار اللغوية العراقية في القرنين التاسع عشر والعشرين .

* خزانة الكتب النفيسة التي يحتفظ بها العلامة المؤرخ الدكتور محمد صبري السوربوني صدرت عنها كراسة تسجيلية تعرض طائفة من ذخائر الكتب المندرجة تحت أبواب الفنون الجميلة والآداب والتاريخ باللغتين الانكليزية والفرنسية .

* من كتب التحقيق التي صدرت أخيرا «التبصير بالتجارة» لعمر بن بحر الجاحظ تحقيق العلامة التونسي الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ، و «تقويم اللسان» لابن الجوزي تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر ، و «الديارات» لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي وقد حققه الأستاذ كوركيس عواد ، و «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للذهبي وقد أصدره في أربعة أجزاء وحققه الأستاذ علي محمد البجاوي . كما صدرت طائفة من الكتب الأندلسية منها الجزء الرابع من كتاب «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» لابن عذارى المراكشي بتحقيق الدكتور احسان عباس ، وكان المستشرقان ليفي بروفنسال وكولان قد حققا الأجزاء الثلاثة منه ، و «اشبيلية في القرن الخامس الهجري» تحقيق الدكتور صلاح خالص ، و «ديوان ابن الزقاق البلنسي» تحقيق الأديبة عفيفة الديواني ، و «التشبيهات في شعر أهل الأندلس» تحقيق الدكتور احسان عباس .

* كتابان جليلان صدرا للعلامة الدكتور جميل صليبا هما «مستقبل التربية في العالم العربي» و «المنطق» .

* من كتب التراجم والسير الحديثة التي ظهرت «مارون عبود الناقد» للأستاذ أسعد سكاف ، و «أنستاس ماري الكرملي – حياته ومؤلفاته» للأستاذ كوركيس عواد ، و «صلاح الدين الأيوبي» للأستاذ قدري قلعجي ، و «ابن ماجد الملاح» للدكتور أنور عبد العليم ، و «الإمام أبو العباس المرسي» للأستاذ أحمد حسن الدسياوي ، و «ابن الكيزاني الشاعر» للدكتور علي صافي حسين . كما صدر كتاب «هكذا نحن» وفيه أحاديث مع سبع عشرة شخصية عالمية أعدها هنري براندون وترجمها الأستاذ عبد الفتاح المنياوي .

* في الشعر ظهرت الدواوين التالية «كلمات غضبى» للأستاذ عبده بدوي و «ذكرى حبيب» للشاعر العراقي الراحل الأستاذ محمد حبيب العبيدي وقد جمعه ونشره الأستاذ أحمد الفخري ، و «وادي الهوى» للأستاذ مصطفى نعمان البدري ، و «نبضات قلب» للأستاذ محمد حسين آل ياسين ، و «أشواق صغيرة» للشاعر الليبي الأستاذ علي محمد الرقيعي .

* صدر للشيخ طه الولي كتاب «الإسلام والمسلمون في ألمانيا بين أمس واليوم» سجل فيه مظاهر النشاط الثقافي والديني للمسلمين في ألمانيا .

* في الأدب الروائي صدرت مسرحيات «بعد السقوط» لآرثر ملر ترجمة الأستاذ علي شلش ، و «المجانين» لألبير كامي ترجمة الأستاذ اسماعيل المهدوي ، و «النساجون» لجرهارت هوبتمان وترجمة الأستاذ محمد جديد ، وروايتا «العقاب» و «الجريمة المزدوجة» وهما لنورمان دانيلز ترجمهما الأستاذ أحمد عادل ، و «الحب والصمت» للأديبة عنايات الزيات ، و «غزو من المستقبل» لنورمان ادوارد وترجمة السيدة عواطف عبد الجليل . كما ظهرت مجموعات من الأقاصيص منها «أحزان الربيع» للأستاذ فاروق منيب ، و «ليل الغرباء» للأديبة غادة السمان ، و «التفتيش» للأستاذ حسن محسب ، و «لندن سوداء مثلي» للأستاذ ذو القفار قبيسي ، و «المنوليا في دمشق» للسيدة ألفة الأدلبي ، و «لا سعال في الليل» للأستاذ أحمد سويد ، و «نهاية قصة» للأستاذ فؤاد عبيد .

* صدر للأستاذ عبد الفتاح الديدي كتابان جديدان هما «القضايا المعاصرة في الفلسفة» و «الخيال الحركي في الأدب النقدي» .

* صدر للدكتور عبد العزيز مطر كتاب نفيس عن «لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة» . «الرأي العام» كتاب ترجمه الأستاذ كسروان شدياق عن ألفرد سوفي .

* من الكتب العلمية التي صدرت حديثا هذه الطائفة «الأرض الحية» لبيتر فارب وترجمة الدكتور ثابت قصبجي ، و «خامات من البحر» لادوارد أرمسترنج ومكنزي ميال وترجمة الدكتور حسن خالد الشامي ومراجعة الدكتور عبد الفتاح اسماعيل . و «علم النفس في الصناعة» لنورمان ماير وترجمة الدكاترة صبري جرجس ومحمد عماد الدين اسماعيل وأنيس كمال محمد ومراجعة الأستاذ محمد كامل النحاس ، والمجلد العربي من «المعجم الديموجرافي المتعدد اللغات» لطائفة من الأساتذة ، و «صديقنا العالم» لكارلا جرين وترجمة الدكتور محمد قدري لطفي . كما صدر الجزء الأول من «الموسوعة الطبية الحديثة» التي يشرف عليها الدكتوران أحمد عمر ومحمد أحمد سليمان واشترك في اعداد مادتها الدكاترة عيسى حمدي المازني وابراهيم أبو النجا ولويس دوس .

* ظهرت للأديب الراحل نعوم شقير طبعة جديدة «جغرافية وتاريخ السودان» كذلك ظهرت طبعة عربية جديدة للكتاب الهندي «موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية» للشيخ محمد أعلى بن علي التهانوي.

* أصدر الأديب العراقي الأستاذ حارث طه الراوي كتابا عن والده الأديب الراحل الأستاذ طه الراوي درس فيه أدبه من خلال آثاره ومراسلاته .

* من كتب الادارة التي طبعت أخيرا ظهرت هذه المجموعة «الإدارة العامة» لمرشال وجلاديز ديموك ولويس كونج وترجمة الأستاذ ابراهيم علي البرلسي ومراجعة الدكتور محمد توفيق رمزي ، و «مبادىء الإدارة – تحليل للوظائف والمهمات الادارية» في جزءين لهارولد كونتز وسيريل أودونل وترجمة الأساتذة بشير العريضي ومحمود فتحي عمر وموريس تابري ومراجعة الأستاذ علي عبد المتعال ، والجزء الأول من كتاب «ادارة المشاريع الصناعية» للمهندس الأستاذ محمود الشكرجي .



المعهد الصحي في الهفوف تحيط به خمائل الورود والأزهار اليانعة.

تصوير : احمد مناخ